

العقيدة فى الاسلام

تأليف

مولانا الامام المحدث أحمد رضا خان الحنفى

ترجمه و حقيقه و خرج له و علق عليه

منظر الاسلام الهندى
من علماء الأزهر الشريف



مركز اهل سنت بركات رضا

فور بندر، غوجرات، الهند

<https://arabicdawateislami.net>

الْعَقِيدَةُ فِي الْإِسْلَامِ

تاليف

مولانا الامام المحمّد رشّد احمد رضا خان (الحنفي المابريزي)

ترجمه وحققة وشرح له وعلق عليه

منظر الاسلام الهندي

من علماء الأزهر الشريف

شارع امام احمد رضا.
فوريئند (عجرات الهند)

مركز اسديت بركا ايضاً



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى : رجب ١٤٢٥ هـ / أغسطس ٢٠٠٤ م

مركز هل السنة بركات رضا
 للطباعة و النشر و التوزيع
 شارع الإمام أحمد رضا بجوار نغينه مسجد
 ميمن واد، فوربندر — غوجرات
 الهند

ت : ٠٠٩١،٢٨٦،٢٢٢٠٨٨٦

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

كلمة رئيس مركز أهل السنة بركات رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيد المرسلين، و على آله و أصحابه
أجمعين.

و بعد :

يسر "مركز أهل السنة بركات رضا" أن يقدم إلى قارئه العربي كتاب " العقيدة
في الإسلام" للإمام الفقيه المحدث الشيخ أحمد رضا خان الحنفى الماتريدى القادري
(١٢٧٢هـ/١٣٤٠هـ) - (١٨٥٦م/١٩٢١م) و الذى يعد إثراء للمكتبة
الإسلامية ، و مرجعا هاما في مجال العقيدة و التوحيد ، و سوف يتلذذ القارى خلال
قراءته بما أفاده الشيخ - رحمه الله تعالى - في توضيح الأفكار الإسلامية و التوحيد
الخالص و تمييز الطيب من الخبيث ، و ذلك فإن الشيخ الإمام عبقرى من عباقرة الهند ،
و نابغة من نوابغ الدهر ، و موسوعة إسلامية عامة.

يأمل المركز أن يكون الكتاب دعامة حقيقية لصون العقيدة و الحماية

عن الفرق الباطلة.

و قد بذل الأخ الفاضل السيد / منظر الإسلام الأزهرى جهدا كبيرا في إخراج
هذا الكتاب بشكل محقق مزود بالشروح و التعليقات . - فجزاه الله تعالى المؤلف و
المرجم - .

عبد الستار حبيب الهمدانى

رئيس مركز أهل السنة بركات رضا

فوربندر ، غوجرات ، الهند .

إهداء

أهدى هذا العمل المتواضع إلى الإمام المتكلم العلامة فضل الرسول القادري البركاتي البديوي (١٢١٣هـ / — / ١٢٨٩هـ) نفعنا الله تعالى ببركاته . و الذي له دور فعال في تطهير المجتمع الهندي من البدعات العقديّة ، و استئصال جذور الفرق الباطلة ، فجزاه الله تعالى عنا وعن المسلمين .

منظر الإسلام الهندي

نبذة عن الإمام أحمد رضا خان الحنفي الماتريدي^١

(١٢٧٢هـ/١٣٤٠هـ)

هو الإمام المحدث الفقيه المجتهد محمد أحمد رضا خان الحنفي الهندي ولد هذا الإمام الجليل في مدينة بريلي باهند. وحصل شتى العلوم في صدر شبابه و كان ذا شغف بعلوم الدين على الأخص ، كما حذق من اللغات العربية و الأردية و الفارسية و الهندية . أما الدين الحنيف فتفقه في أصوله و فروعه و تصلح من كل ما يتصل منها بسبب ، فكان له بذلك علم غزير و خير كثير . كما كان مجبولا على قول الشعر في كل ما عرف من لغات خاصة الأردية ، إنه شاعر رفيع الطبيعة و له في ذلك شهرة مستفيضة ، و كان يتخذ من الشعر أسلوب تعبير، إلا أنه كان شاعر الطبع و السجية ينطق فيه عما يجول في خاطره و يعتلج بين جوانحه ، إضافة إلى شهرته بالفقه و الحديث على الخصوص و شتى العلوم على العموم، و ذلك من شأنه لا يشاركه فيه و لا يكاد إلا قلة ضئيلة ، فهو رجل أهل دين و علم و أدب في وقت معا.

و قد عكف على التأليف طيلة عمره، حتى قيل إنه أخرج ما يربو على ألف كتاب و رسالة مما ينهض دليلا على عبقريته ينفرد بها دون كثير من علماء المسلمين الإعلام .

في مكة المكرمة و المدينة المنورة :

و مما ينهض دليلا على عكوفه على التأليف و التصنيف ، أنه كان يداوم عليهما في اتصال و دوام و في حل و ترحال ، فلما خرج لأداء مناسك الحج ثانية عام ١٣٢٣ للهجرة الموافق عام ١٩٠٥ للميلاد، لم يفته و هو في مكة المكرمة و المدينة المنورة أن يكتب على تأليف عدة أسفار نثلي : كتاب " الدولة المكية بالمادة الغيبية" و كتاب "كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" فالأول في إطلاع الرسول صلى

^١ نقلنا حياة الإمام من كتاب "صفوة المديح" ببعض الحذف و الإضافات.

الله تعالى عليه و سلم على ما في الغيب ، و الثاني في حكم استخدام الأوراق المالية ، و هما بالعربية ، فكأنما كان يستوحى البيئته من حوله ليخرج للناس ما يصلح ما دينهم و دنياهم على سواء.

أما تأليفه ففي خمسة و خمسين علما ، و هذا ساطع البرهان على تضلعه و تمكنه والمعيه و عبقريته ، فقد كان سديد الرأي ينبرى للفتوى و فتياه تشهد له بجدة الذكاء إلى جانب سعة العلم .

شغفه بالعرب و لغتهم :

و ذاع له بعيد الصيت في الأفاق ، و ترتب على ذلك بالحثم أن وصل أسبابه بأئمة الدين و أعلام الهدى في أرض الإسلام . ففي الحجاز التقى بالعلماء من شتى الأرجاء فدارسهم و حاورهم و استمد منهم كما أمدهم.

و في سفرته الأولى إلى الحجاز عام ١٢٩٥ للهجرة الموافق ١٧٨٧ للميلاد جلس مجلس التلميذ من العالم التحرير و الداعية الإسلامي الأشهر أحمد بن زيني دحلان رضى الله تعالى عنه و هو من أقطاب أهل الدين و العلم ، و هذا من الدليل على أنه أخذ عن علماء العرب في أرض العرب .

و لسنا نعرف و لا نكاد داعية إسلاميا من غير بنى يعرب كان أكثر منه ميلا إليهم و إعترازا بهم ، لا غر و فقد كان يملك ناصية العربية و يحسنها كما لم يحسنها سواه من مواطنيه و معاصريه و شعره فيها رفيع الطبقة متين السبك و كتابه المنظوم بالعربية المسمى : " بساتين الغفران " الذى قام بجمعه و ترتيبه الدكتور حازم محمد أحمد محفوظ ، يشهد له بعلو الكعب و طول الباع .

ترجمته لمعاني ألفاظ كتاب الله المبين :

و لقد أقدم مولانا الإمام المحدث أحمد رضا خان الحنفى على صنيع عظيم تكبو دونه الإقلام و تكل الأفهام ، و هو ترجمة معاني كتاب الله المبين إلى الأردية تحت عنوان : كثر الإيمان في ترجمة القرآن" و يعد هذا الكتاب أوسط ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى

الأردية و ما زال يطبع إلى اليوم طبعات فاخرة لنفاسته و عظيم قيمته و جدالة فائدته .
 و لا تخلو دار بأرض الهند و باكستان و بنجلاديش من نسخة أو نسخ هذه الترجمة
 الصحيحة الدقيقة التي لا طاقة بمثلها إلا لمولانا الإمام أحمد رضا خان الحنفي . و بلغت
 هذه الترجمة من شهرتها حد ان ترجمت إلى لغات إسلامية و غير إسلامية في الهند و
 باكستان و بنجلاديش.

أكبر و أشهر فقهاء و مجتهدى الفقه الحنفي :

و مولانا الإمام أحمد رضا القادري رضى الله تعالى عنه يعد أكبر و أشهر فقهاء
 و مجتهدى الفقه الحنفي في الهند و باكستان و بنجلاديش ، و نقيم قواطع الأدلة على
 ذلك موسوعته الفقهية تحت عنوان " العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية " و تقع في اثني
 عشر مجلدا و يعاد طبعا و نشرها تباعا .

مجدد القرن :

و لقد اجتمع أهل الدين و العلم على تلقيه بمجدد القرن ، و له إلى يومنا
 الحاضر علو القدر و رفعة المترلة في الهند و باكستان و بنجلاديش و غيرها و كم من
 مسجد و مدرسة و جامعة تحمل اسمه تقديرا و توقيرا . و يجرى مجرى المعتاد أن يحتفل
 بإحياء ذكراه في شهر صفر من كل عام .

براعته في علم الحديث

و قد قلنا فيما سبق إن الإمام أحمد رضا خان الحنفي كان يجيد و يتقن أكثر من
 خمسين علما بما فيه علم الحديث و الرجال ، و قد كانت له في هذا العلم قدم راسخة و
 مهارة تامة و ذكاء نادر، فإنه درس كتب الحديث و الرجال و استوعبها لدرجة لا
 يغيب عنه شيء ، فكلما سئلت عنه قضية فقهية زينها بالنصوص الشرعية و على وجه
 الأخص الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و التي تعطى إشارة واضحة في براعته في
 علم الحديث ، و خير شاهد على هذا ما ألفه الإمام كتاب " الزبدة الزكية في حرمة

سجدة التحية" و هو كتاب ممنوع نافع يتكلم عن حرمة السجود لغير الله تعالى ، و قد أتى بأربعين حديثاً من الصحاح و السنن و الجوامع و المسانيد . و له كتاب آخر في أصول التخريج سماه " الروض البهيج في أصول التخريج " و قد أعرب الشيخ رحمن على عن رأيه في هذا الكتاب قائلاً : لو لم يؤلف كتاب قبل هذا فكأنه أول كتاب في أصول التخريج و للمؤلف فضل السبق في هذا المضمار .

عقيدة الإمام المحدث أحمد رضا خان الحنفي :

إنه سنى حنفي المذهب قادري المسلك راسخ الاعتقاد ، و تجلّى ذلك بتمام الوضوح في كل ما أخرج من كتاب و ديوان . و اهتم معاصروه بدراسة عقيدته و الكتابة عنها في تحليل و تعليق و اجتمعت كلمتهم على صحة تلك العقيدة ، و هو القائل في ذلك و بعريته الرصينة : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله أحد ، لا معبود إلا هو ، محمد صلى الله تعالى عليه و سلم رسوله الصادق ، امنت به ، و دينه هو دين الإسلام ، و كل معبود سوى الله تعالى ، باطل ، لا عبادة لغير الله ، الحى هو الله الواحد و المميت هو الله الأحد ، المطر هو الله الفرد ، و الرزاق هو الله الأحد ، الإسلام هو الدين الحق ، الأديان كلها غير الإسلام باطلة .

إنه مؤمن موقن يعبر عن إيمانه بلغة القرآن معتزاً بكتابه الهادى إلى مستقيم الصراط ، و لقد عرفناه متوسلاً بالرسول صلى الله تعالى عليه و سلم ، محباً له و في ذلك أدل الدليل على تقواه ، و على أنه صاحب عقيدة و عبادة . كما توسل بأل بيته الأطهار و أصحابه الكرام و بالأولياء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، و تلك غاية الغايات في تقوى الله و محبة مصطفىه صلى الله تعالى عليه و سلم .

موقفه من المخالفين و الملاحدة :

و قد اشتهر عنه أنه نافع عن الدين الحنيف ، و رد عنه كيد المخالفين عن جهاله ، فالزمهم الحادة و رد كيدهم إلى نحرهم ، و تلك محمداً له عرفت عنه و قدرت له .

كما اتخذ موقفا من الملاحدة الذين رق دينهم فخرجوا عن خطيرة الدين الخفيف من أمثال : القاديانيين و الطبيعيين فبصرهم بسوء صنيعهم و بين لهم خلطهم و خبطهم و شطحهم . و كان المرشد الهادي الذي يسير في نور نبراسه كل ذو حظ عظيم .

الإمام أحمد رضا خان سلفي المذهب :

نرى أن الشيخ الإمام أحمد رضا خان و إن كان يعترف بالأئمة الماتريدية إلا أنه يرى سلفي المذهب في النصوص الموهمة للتشبيه و إبطال تقسيم الكلام الإلهي إلى النفسي و اللفظي و في قضية القضاء و القدر ، فقد تجلى موقفه هذا فيما علق الإمام على كتاب "المعتقد المنتقد" للعلامة فضل الرسول القادري البدايوني ، و سمي تلك التعليقات "المعتمد المستند بناء نجاة الأبد " إذ قال :

و الحق عندنا أن التنويع إلى النفسي و اللفظي إنما مال إليه المتأخرون إفحاما للمعتزلة و إفهاما للعقول السافلة ، كما اختاروا في التشابهات مسلك التأويل ، و إنما المذهب ما عليه أئمة السلف أن كلام الله تعالى واحد لا تعد فيه أصلا ، لم ينفصل و لن ينفصل عن الرحمن ، و لم يحل في قلب و لا لسان ، و لا أوراق و لا أذان ، و مع ذلك ليس المحفوظ في صدورنا إلا هو ، و لا المتلو بأفواهنا إلا هو ، و لا المكتوب في مصاحفنا إلا هو ، و لا المسموع بأسماعنا إلا هو ، لا يحل لأحد أن يقول بحدوث المحفوظ المتلو المكتوب المسموع ، إنما الحادث نحن ، و حفظنا و ألسنتنا ، و تلاوتنا ، و أيدينا ، و كتابتنا ، و أذاننا ، و سماعتنا ، و القران القديم القائم بذاته تعالى هو المتجلي على قلوبنا بكسوة المفهوم ، و ألسنتنا بصورة المنطوق ، و مصاحفنا بلباس المنقوش ، و أذاننا بزي المسموع فهو المفهوم المنطوق المنقوش المسموع لا شيء آخر غيره دالا عليه ، و ذلك من دون أن يكون له انفصال عن الله سبحانه و تعالى ، أو اتصال بالحوادث أو حلول في شيء مما ذكر ، و كيف يحل القديم في الحادث ، و لا وجود

للحادث مع القديم ، إنما الوجود للقديم و للحادث منه إضافة لتكريم ، و معلوم أن تعدد التجلي لا يقتضي تعدد المتجلي.

يقول في التشابهات : يجب عليك هنا التنبه لدقيقة و هو أن الإجراء على الظاهر قد يطلق و يراد به الظاهر المفهوم لنا ، المتبادر إلى أذهاننا حسب ما نعهده فينا ، و في أمثالنا من يد و إصبع من لحم و عظم ، ذواتي طول و عرض و عمق و تجز و تركيب ، و نزول بجرعة من فوق لتحت و انتقال من حيز إلى حيز ، و هذا ما أجمع على نفيه أهل السنة و الجماعة قديما و حديثا ، و قد يطلق و يراد به ترك التأويل أى نجري النص على ظاهره ، و نؤمن بأن له تعالى يدا تليق به كما يعطيه النص و لا نقول إن اليد بمعنى القدرة، كما يختاره أهل التأويل و لكن نؤمن أن يده تعالى متعالية عن الجسمية و التركيب و مشاهة الخلق ، و عن أن يحيط بها عقل أو وهم ، بل هى صفة من صفاته القديمة القائمة بذاته الكريمة لا علم لنا بمعناها ، و هذا هو مسلك الأئمة المتقدمين ، و هو المختار المعتمد الحق المبين ، و هو معنى ما يقال من الجمع بين التزيه و التشبيه ، فالتزيه حقيقة ، و التشبيه لفظا ، و ذلك قوله تعالى: ليس كمثله شيء . فقد نزه معنى ثم قال : و هو السميع البصير . فشبّه لفظا و ذلك أن لا اشتراك بين شيء من صفاته و صفات خلقه إلا في الإسم ، و لله المثل الأعلى ، و لقد اشتدت و كبرت في عصرنا مزية بعض من يدعى البلوغ مبلغ الرجال، و يدعى في العوام من أهل الكمال ، فادعى " أن الإجراء على الظاهر بالمعنى الأول و هو الحق من المقال ، و به تقول أئمة السلف " و العياذ بالله ذي الجلال ، فلا و الله ما هو إلا ضلال أي ضلال ، نستجير بذيل رحمة ربنا من المهاي و المزال، و الحمد لله الحجير المتعال .

و عالج قضية القضاء و القدر فقال : إيماني و لله الحمد ما ثبت بالقرآن و أجمع عليه الفريقان ، و شهدت به البداة و أدى إليه البرهان ، أن لا جبر و لا تفويض و لكن امر بين أمرين و الفرق بين حركتي البطشة و الرعشة و الصعود و الهبوط و بالوثوب و السقوط . يشهد به الوجدان ، لا يجله صبي و لا صبي و لا حيوان ، و ليس

للعبد من الخلق شيء جملة واحدة و ما يحس في نفسه من قدرة و إرادة و اختبار فإنما خلقها الله تعالى فيه ، ما كان لهم الخيرة و لا قدرة أو إرادة يستبدون بها و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، ما شاء الله كان و لو اجتمع على دفعه العالمون ، و ما لم يشأ لم يكن و لو اجتهد لإيقاعه الأولون و الآخرون ، الله خلقكم و ما تعلمون ، يثبت من شاء و الثواب فضله ، و يعذب من شاء و العذاب عدله ، و ما ظلمهم الله و لكن كانوا هم الظالمين ، جزاء بما كانوا يكسبون ، فالتكليف حق و الجزاء خق و الحكم عدل و الاعتراض كفر و الاستبداد ضلال و التحجر جنون فنون ، و لا حجة لأحد على الله مهما فعل و لله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل و هم يسألون ، فهذا إيماننا و لا نزيد عليه . و إن سألنا عما و رآه قلنا لا ندري و لا كلفنا به و لا نخوض مجرا لا تقدر على سباحته و نسأل الله الثبات على دين الحق و سداجته ، و الحمد لله رب العالمين .

كتاب العقيدة في الإسلام

و أما هذا الكتاب فهو عبارة عن قضية عقدية هامة إذ تعرض المؤلف فيه قضية الواجب و صفاته ، و الإيمان بالنبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — و كيفية احترامه ، و تخليق الملائكة و حقيقة الجن ، و أحكام الشرك و الكفر ، تعرض كل هذا على وجه الإجمال و الإيجاز ، و بالجملة فالكتاب يعد سفر من أسفار الهبة الربانية في مجال العقيدة و التوحيد الخالص ، و قد أضفنا إليه بعض الشروح و التعليقات و الحواشي المفيدة ليسهل فهم الكتاب و معانيه .

و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد و على آله و صحبه و بارك و

سلم .

منظر الإسلام الهندي .

من علماء الأزهر الشريف

مركز أهل السنة بركات رضا

فوريندر — غوجرات

تحريرا في : ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٤ هـ

الحمد لله المتعال ، شأنه عن الكذب و الجهل و السفه و الهزل ، و العجز و البخل ، و كل ما ليس من صفات الكمال المتزه عظيم قدرته بكمال قدوسيته ، و جمال سبوحيته ، عن وصمه خروج ممكن أو ولوج محال ، قوله الحق ، و وعده الصدق و من أصدق من الله قيلا ، و كلامه الفصل و ما هو بالهزل ، فسبحان الله بكرة و أصيلا ، و لذاته القدم ، و لنعته القدم ، فلا حادث يقوم ، و لا قائم يحول ، و كلامه أزل ، و صدقه أزل ، فلا الكذب يحدث ، ولا الصدق يزول ، و الصلاة و السلام على الصادق المصدوق سيد المخلوق النبي الرسول الأتى بالحق من عند الحق لدين الحق و على وجه الحق و الحق يقول ، فهو الحق و كتابه الحق بالحق أنزل و بالحق نزل ، و على الحق نزول ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حقا حقا ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله بالحق أرسله صدقا صدقا ، صلوة الله و سلامه عليه و على آله و صحبه و كل من ينتمي إليه ، و علينا معهم و بهم و لهم يا أرحم الراحمين ^٢ — أمين — .

و بعد :

أحكام الواجب و صفاته

نؤمن بأن الله سبحانه و تعالى صانع العالم ، و واجب الوجود من الأزل إلى الأبد ، و لا مثل له في ذاته ، و لا في صفاته ، و له الكمال المطلق ، و هو جدير بالعبادة ، و مستحق بالاستعانة ، و هو خالق الكون ، و إليه يرجع تدبير الكليات و الجزئيات في الخلق كافة ، و له صفات ذاتية من الحياة و القدرة و العلم و الكلام و السمع البصر و الإرادة ، و يتصف بها من الأزل ، و له صفات أخرى فعلية و نفسية و سلبية و إضافية

² نقلنا الخطبة العربية من كتاب "سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح" للمؤلف العلام و هو كتاب قيم ، كشف فيه عن عوار الفرقة المنحرفة عن الدين و التي تفوه عن صدور الكذب من

. و كان على صفة كاملة قبل خلق الكون، و ما زال على تلك الصفة ، و لا يزال عليها إلى أبد الأباد .

و هو الذى يشفى المريض ^٣ و يزيل الألام ، و يعطى الرزق ^٤ و يقدر على خلق ذلك و أما الشفاء بيد الطبيب ، و إعطاء الملك الرزق ، و الأسباب الأخرى الظاهرة و الخفية كالدعاء و تصرفات الأنبياء و أعمال الأولياء إنما تعدو سبباً ، و على هذا يطلق على الطبيب شافي الأمراض ، و على الملك معطى الرزق ، و على الأنبياء مزيل الهموم .

إنه تعالى حكيم في كل ما يفعل ^٦ و من هنا تصدر منه تلك الصفات و الأفعال المذكورة من وراء الأسباب ، و من المعلوم أن هناك أشياء كثيرة تتعلق بصفات الله تعالى القديمة كوسائل الكسب و تدبيرات الأمور ، و شفاء الأمراض ، و إعطاء الرزق ..

3 يقول الله سبحانه و تعالى ﴿و إذا مرضت فهو يشفين﴾ (الشعراء : ٨٠) .

4 ﴿ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون﴾ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (الذريت : ٥٧،٥٨)

5 يعيش العالم الإنسانى ما بين الأسباب و الوسائط و من هنا نجد آيات كثيرة و أحاديث عديدة تحرضنا على اختيار الأسباب يقول تعالى : ﴿و هزي إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنياً﴾ (مریم : ٢٥) و يقول الرسول الكريم — صلى الله تعالى عليه و سلم — فيما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل و البخاري و مسلم من حديث على بن أبى طالب — رضى الله تعالى عنه — قال : كان النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — في جنازة فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض فقال : ما منكم من أحد إلا و قد كتب مقعده من النار و مقعده من الجنة ، قالوا : يا رسول الله ! أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل ؟ قال : إعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، أما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿فأما من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى .﴾

6 يقول الله سبحانه و تعالى ﴿و هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السموات و الأرض و هو العزيز الحكيم .﴾ (الروم : ٢٧)

كما أننا لا نشك في أن تصرفات الأنبياء و دعا الأولياء و كلام المقربين مظهر من المظاهر الربانية ، و منحة من المنح الإلهية ، و هو ثابت عن طريق الشرع و الكشف ، و من هنا يحكم بالكفر على من اعتبر الأسباب و الوسائط المحضة بعيدا عن القدرة الإلهية راميا الفاعل الحقيقي و راء عرض الحائط . و كذلك يكفر من خص القدرة الإلهية لبعض الأسباب دون البعض . كما أن نفي الأسباب بأسرها يدفعنا إلى القول بإبطال الحكمة للقديم ، و نفض اليد عن السعادة الدينية و الدنيوية، و من كمال الإيمان أننا نعرف السبب الظاهر و الخفى بأنه واسطة لظهور الصفات الإلهية حتى لا نضيع فرصة الاستفادة منه .

إنه تعالى سبحانه لا يتصف بما هو محال بالنظر إلى ذاته و مختص بالممكنات^٧ كاتصافه بالجوهر و العرض و الجسم و المكان و الزمان و الحركة و الانتقال و الجهل و الكذب و التغير في الذات و الصفات و كونه في الجهة^٨ و كلامه قديم ، و أما ما يتلفظ به العباد أو يكتبه فهي حادثة.

٧ لان المحال يدل على النقص و التغير و هذا يطرأ على الممكن و الله تعالى قديم . قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى : ﴿ و تمت كلمة ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلمته و هو السميع العليم . ﴾ إعلم أن هذه الآية تدل على أن كلمة "الله" موصوفة بصفات كثيرة .. الصفة الثانية من صفات كلمة "الله" كونها صدقا و الدليل عليه أن الكذب نقص و السنقص على الله تعالى محال . (راجع مفاتيح الغيب ٧ / ١٦٨)

قال كمال الدين ابن الهمام في "المسيرة" يستحيل عليه تعالى سمات النقص كالجهل و الكذب. و في شرحه بل يستحيل عليه كل صفة لا كمال فيها و لا نقص لأن كل صفات الإله صفة كمال .. و قال التفترازي في "شرح المقاصد" : لو جاز اتصافه بالحادثة لجاز النقصان عليه و هو باطل إجماعا.. (راجع المعتقد المنتقد ص: ٦٢ .)

٨ لأن معنى الجوهرى متمكن يستغنى عن المحل أو ماهية إذا وجدت — في الأعيان — كانت لا في موضوع فيكون وجوده زائد عليه و الواجب ليس كذلك ..

و أما عدم كونه تعالى عرضا لأن كل عرض محتاج إلى محل يقومه إذ لا معنى له سوى ذلك ..

لا تسمح — و لن تسمح — الشريعة الإسلامية أبدا لأحد أن يتفوه على الصفات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كالاستواء على العرش و الضحك و الوجه و اليد^٩ كما أنها غلقت أبواب التكلم في الصفات الثمانية التالية: السمع و البصر

و عدم كونه جسما لأن كل جسم مركب من أجزاء .. و كل مركب محتاج إلى جزئه و لا شيئا من المحتاج بواجب ..

و عدم كونه في مكان لأنه لو كان في مكان لكان محتاجا إليه ضرورة و المحتاج إلى الغير ممكن فيلزم إمكان الواجب .. (راجع شرح المقاصد ٦٥،٦٦/٢)

و إذا بطل اتصافه تعالى بالعرض و الجوهر و الجسم و المكان لبطل بالضرورة اتصافه بالزمان و الحركة و الانتقال و الجهل و ذلك فإن هذه الصفات كلها دليل الحدوث و علامة التغير و هذا من خواص الممكن و الله تعالى قديم ..

و أما اتصافه بالكذب فلأنه محال بإجماع العلماء لأنه نقص باتفاق العقلاء و هو على الله تعالى محال لما فيه من إمارات العجز أو الجهل أو العيب .. (المرجع السابق ص ١٠٤)

و كذلك الواجب لا يوصف بالجهة كفوق و تحت و قدام و خلف و يمين و شمال ، إذ الجهات كلها نسبية ليس لها وجود حقيقي و إن افترضنا الوجود فهي حادثة بمحدوث الأشياء و الله تعالى قديم ..

قال تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه : ٦) الإيمان بالاستواء واجب و إن جهلت حقيقة العرش و كيفية استوائه تعالى عليه .. يقول ابن الهمام : نؤمن بأنه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام من التمكن و المماس و المحاذة لها لقيام البراهين القطعية على استحالة ذلك في حقه تعالى ، بل نؤمن بأن الاستواء ثابت له تعالى بمعنى يليق به سبحانه هو أعلم به ، كما جرى عليه السلف في التشابه من التزيه عما لا يليق بجلال الله تعالى مع تفويض علم معناه إليه سبحانه و تعالى .. (راجع المعتقد المتقدم ص : ٧٠)

■ الوجه : ﴿كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الحلال و الإكرام .﴾ (الرحمن : ٢٦)

■ اليد : ﴿يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ..﴾ (الفتح : ١٠)

نؤمن بأن الله تعالى مژه عن اليد و الوجه و نفوض معناهما إلى علم الله تعالى و نقول في مثله :

﴿ليس كمثل شيء و هو السميع البصير﴾ (الشورى : ١١)

والعلم والإرادة والكلام والقدرة والحياة والتكوين وإنما معانيها الحقيقية نفوذها إلى الله تعالى ونؤمن في مثل هذا بـ " ليس كمثل شيء " .

لا يستطيع أحد من الأولياء أو الأنبياء الوصول إلى إدراك الكنه الإلهي وإنما يتشرفون في الدنيا — طبقا لمدارجهم — بالتجليات الذاتية والصفاتية .
و مما لا شك فيه أن أصحاب الجنة يتشرفون برؤية الله تعالى في الجنة بلا كيف و بلا جهة ^{١٠} .

الواجب هو الله سبحانه و تعالى خالق الأفعال والأعمال للعباد و بإرادته يصدر كل شيء و لكنه لا يرضى عن كفر العباد و معصيتهم ^{١١}
واجب الوجود هو خالق القدر خيره و شره ، فقد قدر كل ما يظهر في حياتنا اليومية و لكنه لا يحب و لا يرضى إلا عن الخير ، و لا يلتفت إلى من يقول إن العبد قد أصح مجبوراً بما قدر له في الأزل و ذلك فإنه تعالى جعله مخيراً بما هداه إلى طريق الخير و الشر ^{١٢} وهذا نستطيع أن نرى الفرق بين الإنسان المخير والحجر والشجر فاقدى الإرادة

10 عن أبي هريرة — رضى الله تعالى عنه — قال : قال رسو الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — هل تضارون في رؤية الشمس بالظهرة صحواً ليس معها سحاب ؟ و هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا : لا يا رسول الله! قال : ما تضارون رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما .

11 قال جميع العلماء : الرضاء بالقدر و القضاء فرض خيراً كان أو شراً ، و لا يلزم من ذلك شيء ، قال المخالف لو كان الرضاء بالقضاء واجبا لوجب الرضاء بالكفر و هو باطل إجماعاً لأن الرضاء بالكفر كفر ، و أوجب بأن للكفر نسبة إلى الله تعالى بإعتبار فاعليته له و نسبة إلى العبد بإعتبار محليته له و إتصافه به فإنكاره بإعتبار النسبة الثانية دون الأولى و الرضاء به بإعتبار النسبة الأولى دون الثانية و الفرق ظاهر إذ لا يلزم من وجوب الرضاء بشيء بإعتبار صدورهِ عن فاعله و وجوب الرضاء بإعتبار وقوعه صفة لشيء آخر . (راجع المعتقد المنتقد ص ٥٣)

﴿و هدينه النجدين﴾ (البلد : ١٠)

و مما يرتكب العباد يطلق عليه الكسب في مصطلحات القوم و بناء على هذا يستحقون العقاب و الثواب في الآخرة .

و قد أوقفنا الشريعة الإسلامية عن البحث و الخوض في قضية القدر و الجبر و الإيمان بما فيه واجب ، و أما الإنكار لهذه القضية يسبب إلى تكفير المنكر و يؤدي إلى الخروج عن الإيمان ^{١٣} إنه تعالى أحد صمد ليس عليه إيفاء شيء ما، إلا أنه يوفى الوعد بفضله ، و لكل فعل له حكمة خالية عن الأغراض النفسية و الهوى الذاتي، و لا يجب عليه شيء و هو مآثره عن القبح و الظلم و السفه و العبث ، و يشرح صدور المؤمنين بفضله و يوفقهم إلى الأعمال و الإحسان، و يمنح الكافرين العقل و الحواس بعدله ، و يوضح لهم أسرار إرسال الرسل إليهم و يحرمهم عن توفيق الوصول إلى الإيمان .

يجب على كل مؤمن أن يعتقد بالصور الستة الآتية للعدل و الفضل :

١ — إن الواجب ليس بظلام لأحد .

١٣ قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — : إذا ذكر القدر فأمسكوا (زواه ابن عدى في الكامل)

عن علي — رضى الله تعالى عنه — إنه خطب الناس يوما .. فقام إليه رجل ممن كان شهد معه الجمل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر؟ فقال : بحر عميق فلا تلجه ، قال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؟ قال : سر الله فلا تتكلفه ، قال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن القدر ؟ قال : أما إذا أبيت فإنه أمر بين أمرين لا جبر و لا تفويض ، قال : يا أمير المؤمنين إن فلانا يقول بالاستطاعة ؟ و هو حاضرک فقال: علي به ، فأقاموه ، فلما رآه سل سيفه قدر أربع أصابع ، فقال : الإستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله ؟ و إياك أن تقول أحدهما فترتد فأضرب عنقك، قال : فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : قل أملكها بالله الذي إن شاء ملكنيها . (راجع حلية الأولياء)

لا يكون العبد مجبوراً بما قدره الله تعالى له و ذلك فإن فكرة الجبر تخالف العدل و مما لا شك فيه أنه تعالى عادل فوق كل عادل ، و بالإضافة إلى ذلك نشاهد نحن في حياتنا العادية أننا نفعل بإختيارنا ما نريد و إلا تلغى النشاطات اليومية في حياة الإنسان ، و يصبح العالم معطلا مبوضاً بلا عمل .. !!

- ٢- لا ينقص شيء ما من أعمال العبد الحسنة .
 ٣- لا يعذب أحدا إلا من ارتكب المعصية .
 ٤- يوفر الأجر للمسلمين — من فضله — إن امتحنهم أو أوقعهم في المحن .
 ٥- لا يجبر أحدا على طاعة أو معصية .
 ٦- لا يكلف نفسا إلا بما في وسعه .

إنه تعالى واجب الوجود الذي جعل الأفعال موجبة للشواب والعقاب في الآخرة ولا مجال للعقل في أمره، وهناك بعض الحكم والأسرار التي تستطيع العقول إدراكها وأما في أكثرها تحتاج إلى إخبار الأنبياء .

صفات الواجب واحدة وحيدة فريدة كذاته مزهة عن التشريك وغير متناهية لما لها علاقة بالذات، ومن المعلوم أن المتعلقات كلها حادثة ويطرأ عليه الفناء، وأما الصفات فهي قديمة .

و للواجب أسماء كثيرة^{١٤} كما نعرف نحن بما ورد في النصوص الشرعية ، و ينبغي للعبد أن يلجأ في دعائه و ذكره إلى تلك الأسماء^{١٥} و كل هذه الأسماء الإلهية قديمة أزلية أبدية، و قد أجمع أهل السنة و الجماعة على أن كل اسم لم يرد ذكره في الشريعة الإسلامية و فيه إهدار للكرامة الإلهية فإطلاقه على الله سبحانه و تعالى كفر.



14 قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — : إن لله تعالى تسعة و تسعون إسما من أحصاها

دخل الجنة ..

15 ﴿ و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الذين يلحدون في آياتنا سيحزون ما كانوا يعملون ﴾

(الأعراف : ١٨٠)

الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه و سلم

أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله تعالى عليه و سلم خاتم النبيين^{١٦} و مؤخرهم و لم يأت و لن يأتى نبي في عهده و لا بعد عهده — صلى الله تعالى عليه و سلم — و إلى هذا المعنى الإيماني تشير الآية " و لكن رسول الله و خاتم النبيين" و هذا بما علم من الدين بالضرورة، من استخراج من الآية الكريمة غير المعنى المذكور زاعما بأنه من مخيلات العوام ، معتقدا بنبي آخر في عهده أو بعد عهده^{١٧} — صلى الله تعالى عليه و سلم — يحكم عليه بالكفر ، كما يكفر من يحاول إثبات التفوق العلمي للخلق على علم النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — و ذلك فإنه — صلى الله تعالى عليه و سلم — أوسع الخلق علما و أكثرهم معرفة^{١٨}.

16 ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما﴾ (الأحزاب : ٤٠)

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة — رضى الله تعالى عنه — أن رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — قال : إن مثلى و مثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه و ترك منه موضع لبنة فظاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون غيرها ، فكنت أنا سدوت موضع تلك اللبنة فتم بي البنيان و ختم بي الرسل . (راجع صحيح البخاري ١٤٨/٤ و صحيح مسلم مع شرح النووي ١٤٩/٥).

17 يقصد المؤلف العلامة بتلك العبارة الشيخ قاسم النانوتوي الهندي و أتباعه الذي ذهب في كتابه "تحذير الناس" إلى أنه : لو فرض في زمنه — صلى الله تعالى عليه و سلم — بل لو حدث بعده — صلى الله تعالى عليه و سلم — نبي جديد لم يخل ذلك بخاتمته ، و إنما يتخيل العوام أنه — صلى الله تعالى عليه و سلم — خاتم النبيين بمعنى آخر النبيين مع أنه لا فضل فيه أصلا عند أهل الفهم .

18 كان في الهند شيخ يسمى "أشرف على التانوي" قد خرف عقله فأثبت في كتابه "حفظ الإيمان" أن علم البهائم و الشياطين و البله من الناس منصوص عليه ، و أما علم النبي — صلى الله تعالى

و سلم — فلم يثبت بالنص الشرعي !!

و قد بلغ النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — إلى القمة في المجد و الكمال و له فضائل كثيرة ثابتة بالنص الصريح ، و الاعتراف بتلك الفضائل ركن ركين للإيمان ، و لا يكون المؤمن مؤمنا و لا المسلم مسلما ما لم يصدق قلبه و يقر لسانه بتلك الفضائل و الكمالات ، و توقيف النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — في كل لحظة هو مناط القبول للأعمال و العبادات ، و قد عرفنا بالنص الحكيم أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء — عليهم السلام — كما أنه سبحانه و تعالى أخذ الميثاق لربوبيته من جميع أبناء آدم^{١٩} .

لقد منح الله سبحانه و تعالى حبيبه المصطفى — صلى الله تعالى عليه و سلم — بعض المغيبات و هي مجموعة من جميع علوم الأنبياء و الرسل و الملائكة و الأولين و الآخرين و ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ بما كان و ما يكون هو جزء من علم النبي^{٢٠} — صلى الله تعالى عليه و سلم —

19 ﴿ و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين . ﴾ (آل عمران : ٨١)

20 و للإمام أحمد رضا خان الحنفي رسالة مستقلة سماها " الدولة المكية بالمادة الغيبية " و قد أشبع فيها موضوع علم النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — و للإفادة العامة رأينا أن نقل من كتابه المذكور مبحثا خاصا يتعلق بهذه الجزئية الخاصة ، و إليكم ما هناك :

... زهر و مهر مما تقرر أن شبهة مساواة علوم المخلوقين طرا أجمعين بعلم ربنا إله العالمين ما كانت لتخطر ببال المسلمين ، أما ترى العميان أن علم الله ذاتي و علم الخلق عطائي ، علم الله واجب لذاته و علم الخلق ممكن له ، علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي و علم الخلق حادث ، لأن الخلق كله حادث و الصفة لا تتقدم الموصوف ، علم الله غير مخلوق و علم الخلق مخلوق ، علم الله غير مقدور و علم الخلق مقدور و مقهور ، و علم الله واجب البقاء ، و علم الخلق جائز الفناء ، علم الله ممتنع التغيير و علم الخلق ممكن التبديل .

و مع هذه التفرقات لا يتوهم المساواة إلا الذين لعنهم الله و أصمهم و أعمى أبصارهم ، فلو فرضنا أن زاعما يزعم بإحاطة علومه — صلى الله تعالى عليه و سلم — بجميع المعلومات

الإلهية فمع بطلان زعمه و خطأ وهمه لم تكن فيه مساواة لعلم الله تعالى لما ذكرنا من الفروق الهائلة التي لا تبقى لعلم المخلوق من علم الخالق إلا ع ل م* [ههنا حاشية مفيدة للمؤلف، راجع الحاشية ص ٤٩]

أعني المشاركة الإسمية وحدها فكيف و قد أقمنا الدلائل القاهرة على أن إحاطة علم المخلوق بجميع المعلومات الإلهية محال قطعاً عقلاً و سمعاً.

فالوهابية الذين إذا سمعوا أتباع الأئمة يبتون باتباعهم و اتباع القرآن و الحديث لرسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — علم جميع ما كان و ما يكون من أول يوم إلى آخر الأيام ، حكموا عليهم بالشرك و الكفر و أنهم يدعون مساواة علمه — صلى الله تعالى عليه و سلم — لعلم ربه — عزوجل — خابطون غالطون ، و هم بأنفسهم في مهوى الشرك و الكفر ساقطون ، لأنهم إذا زعموا في إثبات هذا العلم المحدود المحصور المحدود ، المساواة مع علم الله فقد شهدوا أن علم الله تعالى ليس إلا بهذا القدر القليل الصغير التزر اليسير إذ لو زاد عليه عندهم فالزائد لا يساوي الناقص ، فلم يحكموا بالمساواة لكنهم يحكمون ، فبعلم الله يتهمكون ، و بالنقص عليه يتحكمون ، قاتلهم الله أنى يوفكون ، نسأل الله النجاة من الفتون . .. اللهم غفرا نرى الظلمات عمت و طمت ، و كلمة النكال على كثير من الناس نمت ، فيما قررناه أن العلم الذاتي و المطلق المحيط التفصيلي مختص بالله تعالى و ما للعباد إلا مطلق العلم العطائي و أنه حاصل لكل مؤمن فضلا عن الأنبياء الكرام عليهم الصلاة و السلام إذ لولاه لما صح الإيمان ، كما مر البيان ، عسى أن يتوهم متوهم أن لم يبق إذن فرق بيننا و بين نبينا — صلى الله تعالى عليه و سلم — فما ظنك بسائر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، فإن الذي حصل له و لهم قد حصل لنا و ما هو منتف عنا فهو منتف عنهم أيضا . فقد استوتينا ، و هذا و إن كان لا يصدر عن عاقل ، فضلا عن فاضل ، عن الوهابية غير بعيد ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون و ليس منهم رجل رشيد ما لي أقدر و قد وقع ، أما سمعت ذلك المتكشف المتصلف المتشيخ المتصوف ، المتصدر التكرير ، منهم في زمننا من الهند ، الطغام العنود ، صنف رسالة لا تبلغ أربعة أوراق ، تكاد تنفطر منها السبع الطباق ، سماها " حفظ الإيمان " و ما هي إلا خفض الإيمان ، صرح فيها بهذا القول ، و لم يحش و بال يوم الأول ، إذ قال ما ترجمته : " إن صح الحكم على ذات النبي المقدسة بعلم المغيبات كما يقول به زيد ، فالمسؤول عنه أنه ماذا أراد بهذا ، بعض الغيوب أم كلها ؟ فإن أراد البعض فأبي خصوصية فيه لحضرة الرسالة ؟ فإن مثل

هذا العلم بالغيب حاصل لزيد و عمرو بل لكل صبي و مجنون ، بل لجميع الحيوانات و
البهائم، و إن أراد الكل بحيث لا يشذ منه فرد فبطلانه ثابت نقلا و عقلا . (حفظ الإيمان :
جواب السؤال الثالث)

و لم يدر البعيد العنيد أن مطلق العلم العطائي بالمغيبات خاص إصالة بمحضرات الأنبياء الكرام
عليهم أفضل الصلاة و السلام ، لقول ربه جل و علا .

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾ "٢٦، ٢٧/٧٢" و قوله
عز مجده ﴿و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾
"١٧٩/٣".

فما يحصل لغيرهم إنما يحصل بإفاضتهم و إمدادهم ، و إفادتهم و إرشادهم فأنى التساوى؟ على
أن غيره لا يعلم من علومهم إلا نورا يسيرا لا يعد شيئا بحسب ما لهم من بحار متدفقة من العلوم
الغيبية ، فإنهم عليهم السلام يعلمون بل يرون و يشاهدون جميع ما كان و ما يكون من أول
يوم إلى اليوم الآخر .

قال الله تعالى : ﴿و كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض﴾ "٧٥/٦" .
و للطبراني في كبيره و نعيم ابن حماد في كتاب الفتن و أبي نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر
الفاروق — رضى الله تعالى عنهما — عن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — قال : إن الله
قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها و إلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه
جليان من أمر الله تعالى جلاه لنيبه كما جلاه للنيين من قبله — صلى الله تعالى عليه و سلم و
عليهم أجمعين — (راجع حلية الأولياء ترجمة رقم : ٣٣٨)

فالبعيد شقق بين الكل و البعض و إذا قد انتفى الأول و رأى الثاني شاملا للكل حكم بإستواء
علوم رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — الذي وصل العالمين علما و حلما و علمه
الله ما لم يعلم و كان فضل الله عليه عظيما ، فعلم علوم الأولين و الآخرين و علم ما كان و
ما يكون ، و علم ما في السموات و الأرض و علم ما بين الشرق و الغرب و تجلّى له كل
شيء و عرف و نزل عليه القرآن تبيانا لكل شيء و فصل الله له كل شيء تفصيلا ، — مع علم
زيد (متعلق بقوله بإستواء علوم رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم —) و عمرو بل
كل صبي و مجنون بل كل حيوان و بهيمة . و لم يدر الشقي أن البعض له عرض عريض شامل

من قطيرة صغيرة ضئيلة ذليلة إلى ألوف ألوف بحار زواجر لا يدري قعرها ولا لها حد ولا انتهاء ، و ما الكل إلا من علومه تعالى لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء .
فإن كان مجرد صدق لفظ البعض كافيا في التساوي و التماثل و نفي الخصوصية كما زعم الطريد البعيد . فليحكم بتساوي قدرة الله تعالى لقدرة ** [راجع ص ٥١]
زيد و عمر و بل كل صبي و مجنون بل حيوان و بهيمة . فإن الحيوانات جميعا تقدر على بعض الأفعال و الحركات و إن لم تكن قدرتها مؤثرة *** [راجع ص ٥٢]
فصدق البعض و الله تعالى متعال عن القدرة على نفسه الكريمة و صفات القديمة ، و إلا لكان مقدورا فكان ممكنا فلم يكن إله ، و لكانت صفاته مخلوقات حوادث ، إذ كل موجود بالقدرة موجود بالخلق و كل موجود بالخلق مسبوق بالعدم فصدق هاهنا أيضا لفظ البعض لانتفاء الإحاطة بجميع الأشياء فلزم التساوي ، مع جميع المساوي ، و سأضرب لك مثلا : ملك جبار ملك الدنيا بخذاقيرها ، و ملك الخزائن بنقيرها و قطميرها ، و له نواب و أمراء سلطهم على خزائن قطر قطر . ليعينوا المحتاجين ، و يتصدقوا على المساكين ، و أمر عليهم جميعا خليفة أعظم ، ليس فوقه إلا الملك الأكرم ، فجعل خزائنه جميعا طوع يديه ، و أمر الكل مفوضا إليه ، إلا خاصة نفسه ، فهو يقسم على النواب و الأمراء و هم على من تحتهم درجة فدرجة حتى تصل القسمة إلى الفقراء ، فيصيب كلا نصيبه و فيهم شقي طريد خبيث بعيد ، ينازع الملك و نوابه فلا يزعن لهم و لا يعظمهم ، و لا يرى فضلا عليه لهم ، و ما عنده قوت يومه فقير بائس ، مسكين مفلس ، لم يصل إليه من قسمة الأمراء إلا فلس واحد ، مطموس كاسد ، و هو يقول : أنا و الخليفة الأكبر كلانا سواء في المال و الملك لأنه إن أريد ملك الكل فليس للخليفة أيضا و إن أريد ملك البعض فأبي خصوصية فيه للخليفة ؟ فإني أيضا أملك البعض ، أليس في ملكي هذا الفلوس الأسود الكاسد ، فهذا الشقي الكفور ، العائل المتكبر المغرور . لا شكر عطاء الخليفة و لا عظم منصب الخلافة و لا فرق بين الفلوس الكاسد . و الخزائن العامرة المائلة وجه الأرض ، من الشرق و الغرب بل و لا قدر الملك الجبار حق قدره ، و اسخفف بعظم شأن خلافته و أمره و فاستحق العذاب الوبيل و العقاب الشديد و النكال المديد ، فالملك هو الله سبحانه و تعالى و خليفته الأكبر محمد — صلى الله تعالى عليه و سلم — و النواب و الأمراء ، الأنبياء و الأولياء عليهم الصلاة و السلام ، نحن الفقراء المتكفون منهم الساب

و يكفر من احتقر علمه — صلى الله تعالى عليه و سلم — قائلًا : إن اطلع
النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — على بعض المغيبات فبم يمتاز عن الخلق؟ و ما
تخصيصه في هذا البعض؟ و ذلك فإنه كمثّل هذا البعض يحصل عليه زياد و عمرا بل
يقدر الحصول على ذلك كل صبي و مجنون بل البهائم كلها يقدر الحصول على ذلك .

البعيد ، هو ذلك العائل الطريد ، العنود اللدود المرید ، نسأل الله العفو و العافية . و لا حول و
لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يا مسلم ! حماك الله أ تظن الآخر اللئيم جاهل ذلك الفرق العظيم ، حاش لله بل دار به و
لإنكار فضل رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — دارئ له . فإن شئت أن ترى حقيقة
ذلك فأتة و خاطبه بقولك يا مساوي الكلب و الخنزير ، في العلم و التوقير ، ستراه يحترق
غيظا ، و يكاد يموت غنظا ، فسله هل أحطت بكل شيء علما كمثّل الله سبحانه و تعالى ؟ فإن
قال : نعم ، فقد كفر و إن قال لا ، فقل له : أي خصوصية لك في العلم ؟ فإن العلم ببعض
الأشياء حاصل لك و لكل كلب و خنزير ، فمالك تسمى عالما دون نظرائك الكلاب و
الخنزير ، و هكذا حال التوقير ، فليس لك كل الوقار و لم تخل الكلاب و الخنازير عن بعضه
لأن الكفار أذل و أوضع قدرا منها .

قال الله تعالى : ﴿ أولئك هم شر البرية ﴾ "٦/٩٨" .

فعند ذلك يؤمن بالفرق بين القليل و الكثير فضلا عن فرق الإصالة و التطفل و العطاء و
التكف ، فإن الكلف لم يتعلم منه و الخنزير لم تتطفل عليه بخلاف علماء **** [راجع ص
٥٣] العالم ، فإتما وصل إليهم ما وصل من العلوم بإمداد محمد — صلى الله تعالى عليه و سلم

— كما قال تعالى : ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ "٤٤/١٦"

و قد سمعت قول البوصيري في البردة :

و كلهم من رسول الله ملتصق

إلى آخر البيتين الموردين في الخطبة و الحمد لله رب العالمين .

الأنبياء كلهم من سيدنا آدم إلى سيدنا عيسى — عليهم السلام — خلفاء
 للرسول — صلى الله تعالى عليه وسلم — و منفذون لشريعته و ذلك طبقا لما رباهم
 الله بتربية ربانية خفية ، كما أن الصحابة — رضى الله تعالى عنهم — كانوا خلفاء له —
 صلى الله تعالى عليه وسلم — و بموجب إرشاده تمكنوا على ذلك المنصب الجليل أي
 الخلافة .

لقد فرض الله تعالى علينا اتباع النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — و حبه
^{٢١} و من لم يعتقد هذا فله وعيد شديد و عذاب أليم .

ملاحح الحب للرسول — صلى الله تعالى عليه وسلم —

نرى ملاحح الحب للرسول — صلى الله تعالى عليه وسلم — تظهر خلال

الأشياء التالية :

- إتيان بما أمرنا النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — و النهي عما نهانا عنه
 و اتباعه — عليه السلام — في قوله و فعله .
- تكرار اسم النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — بالقلب و اللسان ^{٢٢}
 و التشوق إلى زيارة حسنه — صلى الله تعالى عليه وسلم — .
- تعظيمه — عليه السلام — بالقلب و اللسان و سائر أعضاء الجسم .
- إظهار الحب لأهل البيت الأطهار و الصحابة — رضى الله تعالى عنهم —
 و البغض و الكراهة عمن كرههم ^{٢٣}

21 قال تعالى : ﴿ و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من

أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبينا . ﴿ (الأحزاب : ٣٦)

22 لأن المؤمن كلما مر على لسانه ذكر الله و رسوله حصلت له حلاوة الإيمان إذ قال الرسول —

صلى الله تعالى عليه وسلم — : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان

23 ﴿قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله

غفور شكور. ﴿ (الشورى : ٢٣)

• إظهار الكراهة عن لا يتخلق بإخلاقه و آدابه و سنته — صلى الله تعالى عليه و سلم — .

• احترامه — صلى الله تعالى عليه و سلم — حسبما يعرف في العرف والعبادات^{٢٤} .

إن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — أرسل إلى الخلق كافة^{٢٥} فحيثما توجد ربوبية الله تعالى بلغت إليه الدعوة المحمدية ، و هو — صلى الله تعالى عليه و سلم — وحيد في دعوته العامة و فريد في كونه أول المخلوق ، و لا يشاركه أحد في ختم نبوته ، و لا يباريه شخص في فضيلته المطلقة و بيده الخلافة الكبرى و هو أول من يؤذن له بالشفاعة^{٢٦} و الدخول في الجنة و هو أصل لكل فضل ، و وسيلة بكل نعمة ، هذا

24 ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون . ﴾ (الحجرات : ٢)

و في ذلك ذكر القاضي عياض المناظرة المشهورة فيما وقعت بين أبي جعفر و مالك في مسجد رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — و إليك ما ذكر هنالك : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ و مدح قوما ، فقال : ﴿ إن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ الآية و ذم قوما فقال : ﴿ إن الذين ينادونك ﴾ الآية ، و إن حرمة ميتا كحرمة حيا ، فاستكان لها أبو جعفر و قال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة و أدعو أم أستقبل رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — ؟ فقال : و لم تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و سيلة أبيك آدم — عليه السلام — إلى الله تعالى يوم القيامة ؟ بل استقبله و استشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى : ﴿ و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ . (الشفاء بتعرفت حقوق المصطفى ٤١/٢)

25 ﴿ و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (سبا : ٢٨)

26 قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — : أنا قائد المرسلين و لا فخر ، و أنا خاتم النبيين و لا فخر ، و أنا أول شافع و أول مشفع و لا فخر . (راجع التاريخ الكبير للبخاري ٤٠/٢٨٦ .

وفي غير ذلك من الصفات التي لا يوجد له نظير فيها بل يستحيل نظيره و يمتنع مثله —
صلى الله تعالى عليه وسلم —

و قد كان جسم النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — و ظاهره كجسم
البشر و ظاهره و من هنا يطرأ عليه بعض العوارض البشرية^{٢٧} ، و أما صفاته
الروحانية أفضل من صفاته الظاهرة الجسمية و هي تتصف بأعلى الصفات الملكية ، و
تنزهه عن العيوب و النقائص البشرية ، و من هنا نضيف القول إلى أنه — صلى الله تعالى
عليه وسلم — كان عالماً بالله تعالى و صفاته قبل بعثته و بعد البعثة.

يجب على الإنسان المسلم تكريم الآثار النبوية الشريفة و توقير مخلفات السلف
، و من شعائر الإيمان الحقيقي أن يتصور المؤمن تلك الآثار رمزا لقبول الدعاء و وسيلة
للإستجابة^{٢٨} .

قد ثبت أنه — صلى الله تعالى عليه وسلم — أكثر الخلق علماً و أكملهم
معرفة، و قد يشمل علمه جميع ما كان و ما يكون ، فلا يعترض أحد على هذا

٢٧ إن النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — بشر في ظاهره و بالتالي يتعرض بما يتعرض منه
البشر و النوع الإنساني من الآفات و الآلام و المصائب و أما بواطنه فمترهه عن ذلك. نقل
القاضي عياض عن بعض المحققين قائلاً : و هذه الطوارئ إنما تختص بأحسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر و معاناة بني آدم لمشاكله الجنس ، أما بواطنهم فمترهه غالباً
عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى و الملائكة لأخذها عنهم و تلقيها الوحي منهم ،
و قد قال — صلى الله تعالى عليه وسلم — : إن عيني تماناني و لا ينام قلبي . و قال : إني
لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي و يسقيني . (الشفاء ١٧٩/٢)

٢٨ على هذا أدلة و افره من الأحاديث و الآثار ، ها هو الإمام مسلم يروي عن عبد الله مولى
أسماء بنت أبي بكر .. قالت : هذه جبة رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم —
فأخرجت إلى جبة طيالة كسروانية لها لبنة ديباج و فرجها مكفوفين بدياج فقالت هذه
كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها و كان النبي — صلى الله تعالى عليه و

سلم — يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها . (راجع صحيح مسلم ١٩٠/٢)

قائلا: إن هذه الصفة العلمية لا توجد لأحد ما سوى الله تعالى إذ أننا نلاحظ الفرق الكبير بين كلا النوعين من العلم و ذلك لعدة أوجه :

الأول : قد أثبتت لنا الشريعة الإسلامية أنه لا حد لعلم الله تعالى و لا نهاية له ، فهو غير متناه بالفعل و محيط على جميع العلوم ، و أما علمه — صلى الله تعالى عليه وسلم — متناه بالفعل و غير متناه بالقوة و يدخل تحت علم الله تعالى .

الثاني : إنه تعالى عليم بالذات دون وسيلة أو واسطة ، و علمه أزلي و أبدي ، و أما علمه — صلى الله تعالى عليه وسلم — عن طريق الوحي و الإلهام و الكشف و الرؤيا الصادقة و بواسطة الحواس ، و فوق كل ذلك أن علم الله تعالى قديم ، و علمه — صلى الله تعالى عليه وسلم — حادث .

كل ما أخبر به النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — صادق و ثابت لا يتطرق إليه شك و لا وهم و لا جهل^{٢٩} ، و هو — صلى الله تعالى عليه وسلم — معصوم عن الكبائر و الصغائر^{٣٠} و القبائح البشرية العامة ، و ذلك قبل البعثة و بعد البعثة ، و مما وقع السهو منه — صلى الله تعالى عليه وسلم — في بعض الأحكام الشرعية كان ذلك بإرادة الله سبحانه و تعالى و ذلك لحكمة بالغة ألا و هي : التشريع الإسلامي و إفادة

29 ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيدا﴾ (الفتح : ٢٨) ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ (البقرة : ٢)

30 قال العلامة فضل رسول البديوي نقلا عن الإمام القاضي عياض : و الحق عصمة الأنبياء — عليهم السلام — عن الجهل بالله تعالى و صفاته و عن كونهم على حالة تنافي العلم بشئ من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا و إجماعا ، و قبلها سماعا و نقلا ، و بشئ مما قرره من أمور الشرع و أدوه عن ربه عزوجل من الوهم عقلا و شرعا ، و عن الكذب و خلف القوم مذنباًهم الله تعالى و أرسلهم قصداً أو عن غير قصد و استحالة ذلك عليهم شرعا و عقلا و إجماعا و برهانا ، و تزبيهم عنه قبل نبوة قطعاً ، و تزبيهم عن الكبائر إجماعاً ، و عن الصغائر تحقيقاً و عن استدامة السهو و الغفلة توفيقاً ، و استمرار الغلط و النسيان عليهم فيها شرعوا لأمتهم قطعاً .. (راجع المعتقد المنتقد ص ١١٠)

العلم للناس ، و لا يعد هذا مخالفا للمكانة النبوية و ذلك فإن هذا القسم من السهو والذهول قد يقع من البشر بسبب الاستغراق في نور الله تعالى ، و هذا من الشرف والكمال لا من النقص .. إلا أنه من يزعم سهوه — صلى الله تعالى عليه و سلم — كسهونا و يراهما بعين واحدة إظهارا للإهانة و إهدارا للكرامة فقد يكفر ..

إن الأنبياء قد يتعرضون العوارض البشرية كالأمرض الجسدية كما يتعرض الإنسان العامي بأنواع من البلاء و المرض و لكننا — نظرا إلى الآثار و النتائج — نلاحظ فرقا واضحا بين ما يتعرض منه الأنبياء و ما يتعرض منه الإنسان العامي ، و ذلك أن هناك حكمة خفية عالية فيما يتعرض منه الأنبياء و هي مثلا : الصبر على البلاء ، و الشكر في جميع الأحوال ، و الرضاء لما قدر لهم و التوكل على ما عليهم ، و التفويض ، و الدعاء ، و الإلحاح ، و التضرع ، و التعليم لعامة الناس ، و من هنا اتضح الفرق بين أمراضنا و أمراض الأنبياء ، و يكفر من يسوي بين كلا النوعين من الأمراض قاصدا و راء ذلك التحقير و الإهانة للأنبياء — عليهم السلام — .

و قد نصت الآيات القرآنية و الأحاديث المتواترة ^{٣١} على أنه — صلى الله تعالى عليه و سلم — مطلع على المغيبات و يعرف عن الله تعالى عما لا يعرفه عامة الناس ، و من أنكر هذا فكأنه أنكر مما هو مقطوع به .

31 قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ .

(آل عمران : ١٧٩)

﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما ﴾

(النساء : ١١٣)

و أما الأحاديث النبوية ففي هذا الباب كثيرة ، و على سبيل المثال أخرج الإمام البخاري من حديث عمر بن الخطاب — رضي الله تعالى عنه — قال : قام فينا النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم و أهل النار منازلهم . (راجع البخاري ١/٠٠٠ باب ما جاء في قول الله تعالى " و هو الذي بيده الخلق")

و هو — صلى الله تعالى عليه و سلم — حي في قبره الشريف كالأنبياء الآخرين^{٣٢} و له حياة حقيقية جسمانية و بمنح الله تعالى يطلع على أحوال الأمة و يعرف من يحضر إلى روضته الشريفة ، و من هنا يقول العلماء : إن زيارة روضة النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — تعد من أعظم القربات ، و لا ينكرها إلا المبتدع .

منح الله سبحانه و تعالى لنييه المعجزات التالية :

• تشرفه — صلى الله تعالى عليه و سلم — بالمعراج مع الروح و الجسد ، و ذهابه في حالة اليقظة إلى بيت المقدس ، و إمامة الأنبياء هناك ، و من هنا إلى

و أخرج الإمام المسلم من حديث عمر بن أخطب الأنصاري — رضي الله تعالى عنه — في خطبته — صلى الله تعالى عليه و سلم — من الفجر إلى الغروب ، و فيه : فأخبرنا بما كان و بما هو كائن فأعلمنا أحفظنا . (راجع صحيح مسلم ، كتاب الفتن و أشراط الساعة)
قال الرسول — صلى الله تعالى عليه و سلم — : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

32

أخرجه أبو داؤد في سننه ، باب تفريع أبواب الجمعة ، و النسائي في سننه في كتاب الجمعة ، و أحمد بن حنبل في مسنده ، و ابن خزيمة في صحيحه ، و ابن حبان في صحيحه ، و الدار قطني في سننه ، و الحاكم في المستدرک ، و قال : صحيح على شرط الشيخين . و الحافظ المنذري في الترغيب و التهيب ، و قال حسن . كلهم أخرجوا من حديث أوس بن أوس — رضي الله تعالى عنه — .

ذكر الشوكاني في نيل الأوطار ١٠٨/٥ قائلاً : في الحديث الصحيح الأنبياء أحياء في قبورهم . صححه البيهقي و ألف في هذه المسألة جزأً.. و قال في ٢٨٢/٣ : و الأحاديث فيها مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — يوم الجمعة و إنما تعرض عليه — صلى الله تعالى عليه و سلم — ، أنه حي في قبره .. و قد ذهب جماعة من المحققين إلى أن رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — حي بعد وفاته ، و أنه يسر بطاعات أمته ، و أن الأنبياء لا يبلون مع أن مطلق الإدراك كالعلم و السماع ثابت لسائر الموتى .

ما بعد السموات السبع و مشاهدته الجنة و النار ^{٣٣} و رؤيته لأيات ربه الكبرى ^{٣٤} .

- انشقاق القمر بيده ^{٣٥} — صلى الله تعالى عليه و سلم — .
- أنين الجزع في فراقه ^{٣٦} — صلى الله تعالى عليه و سلم — .
- تسليم الحجر و الشجر عليه — صلى الله تعالى عليه و سلم — و تصديقهما من نبوته — صلى الله تعالى عليه و سلم — ^{٣٧}

33 قال تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بركننا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير . ﴾ (الإسراء : ١) يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : عن أنس بن مالك — رضي الله تعالى عنه — أن رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — قال : أتيت بالبراق و هو دابة أبيض طويل فوق الحمار و دون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فحافن جبرئيل بإناء من خمر و إناء من لبن فآخترت اللبن فقال جبرئيل : آخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء ... الحديث

34 و قال تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (النجم : ١٨)

35 عن ابن مسعود — رضي الله تعالى عنه — قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم — فرقتين ، فرقة فوق الجبل ، و فرقة دونه ، فقال رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — : أشهدوا .. الحديث

36 قال جابر بن عبد الله — رضي الله تعالى عنه — : كان المسجد مستقوفا على جذوع نخل فكان النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار .. و في رواية أنس : حتى ارتج المسجد بخواره . و في رواية سهل : و كثر بكاء الناس لما رأوه به . و في رواية المطلب : و أبي حتى تصدع و انشق حتى جاء النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — فوضع يده عليه .

(راجع الشفاء ١/٣٠٤)

37 عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — : لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن .

- سيلان الماء من أصابعه الشريفة و سقاء الجيش بكوب واحد^{٢٨}
- البركة في الطعام حتى شبع الألاف من الناس^{٣٩}

(راجع دلائل النبوة للحافظ ابن كثير ص ١٨٦)

عن علي ابن أبي طالب قال : كنت مع النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل و لا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ...

(راجع السابق ص ١٨٧)

عن جابر بن عبد الله قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — : يا جابر ناد بوضوء، قلت: ألا وضوء، ألا وضوء، قال : قلت يا رسول الله ما وجدت في الركب من قطرة، قال و كان رجل من الأنصار يريد لرسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — الماء في أشجابه له على حمارة من جريد، فقال لي انطلق إلي فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء؟ قال : فانطلقت إليه فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شحب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه، فأتيت رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — فقلت يا رسول الله لم أجد فيها إلا قطرة في عزلاء شحب منها، لو أني أفرغه لشربه يابسه، قال : إذهب فأتني به فأتيت به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو و يغمزه بيديه ثم أعطانيه فقال : يا جابر ناد بجفنة، قال : فقلت : يا جفنة الركب، قال فأتيت بها تحمل فوضعت بين يديه، فقال رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — بيده هكذا فبسطها في الجفنة، و فرق بين أصابعه، ثم وضعها في قعر الجفنة، و قال : خذ يا جابر . فصب علي و قل بسم الله فصببت عليه و قلت : بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — ثم فارت الجفنة و دارت حتى امتلأت، فقال : يا جابر ناد من كان له حاجة بماء، قال : فأتى الناس فستقوا حتى رووا، قال : فقلت هل بقي أحد له حاجة، فرفع رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — يده من الجفنة و هي ملأى . (راجع دلائل النبوة للبيهقي ١٠/٦)

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت : نعم، فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخذت خمرا لها فلففت الخبز ببعضه — زاد يحيى : ثم دسسته تحت ثوبي و ردتي ببعضه، ثم اتفقا، قال : ثم أرسلتني

38

39

• تكلم الشاة المذبوحة منه — صلى الله تعالى عليه وسلم —^{٤٠}

هذا وهناك معجزات كثيرة و خوارق عديدة ثبتت بالأحاديث النبوية — كإحياء الموتى — مما يجب على كل مسلم تصديقها دون تأويل أو ريبه فيها ، ذلك أن تلك المعجزات صادقة و واقعة بالفعل من النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — و من أهم و أعظم المعجزات للنبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — هو القرآن الكريم فإنه معجزة بكل تراكيبه اللفظية و محاسنه المعنوية و أخباره الغيبية لم يستطع أحد و لن يستطيع على الإتيان بمثله^{٤١} .

إلى رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — قال : فذهبت به فوجدت رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — جالسا في المسجد ، و معه الناس ، فقامت عليهم ، فقال رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — أرسلك أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، فقال رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — لمن معه قوموا ، قال فانطلق و انطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة ، فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم لقد جاء رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — بالناس و ليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله و رسوله أعلم ، قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — فأقبل رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — معه حتى دخل فقال رسول الله هلمي ما عندك يا أم سليم فأنت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — ما شاء الله أن يقول ، ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا — زاد قتبية : ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : ائذن لعشرة ، فأكل القوم و شبعوا و القوم سبعون أو ثمانون رجلا (راجع البخاري ، فتح الباري ٥٧٠/١١)

عن كعب بن مالك قال : عن أبي هريرة — رضى الله تعالى عنه — أن يهودية أهدت للنبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — بخبير شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — منها و أكل القوم فقال : إرفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة ...

(راجع الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢١٦/١)

ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه و سلم

أوحى الله تعالى إلى نبينا المصطفى — صلى الله تعالى عليه و سلم — و للوحي غير واحد من الأقسام منها ما أوحى إليه — صلى الله تعالى عليه و سلم — بوساطة الملك، و هناك قسمان أخران لا علاقة لهما بالملك^{٤٢} .

إن القرآن الكريم جاء به الملك جبريل^{٤٣} إلى النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — و هو كلام النفسي القديم الأزلي الأبدي المكتوب في المصاحف و المقروء بالحروف و الأصوات .

و أما الأحاديث القدسية مما وردت بأسانيد صحيحة هي عبارة عن وحي إلهي أوحى إلى النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — بواسطة مرة و بلا واسطة مرة أخرى . و مما ثبت بطريق قطعي من القرآن الكريم و الحديث القدسي صادق لا مرية فيه ، و من أنكر شيئا ما منه بعد العلم الثبوت القطعي يكفر و إن كان المنكر مؤولا لا يلتفت إلى تأويله ، و أما ما ثبت بالظن أو دلالة ظنية فإنكاره دون سبب بدعة و فسق .

يجب علينا أن نؤمن بالبعث^{٤٤} و حشر الأجساد مع الروح^{٤٥} و جزاء الأعمال الصالحة و العقاب ما ارتكبنا من المعاصي .

41 قال رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — ما من نبي من الأنبياء إلا و قد أعطى من الآيات ما مثله عليه البشر و إنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحى الله تعالى إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . (راجع البخاري)

42 نطقت أحاديث كثيرة في كيفية الوحي و على الجملة ، الأولى منها : أن يأتي الملك في مثل صلصلة الجرس . الثانية : أن ينفث في روع النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — الكلام نفثا . الثالثة : أن يأتي إليه في صورة الرجل فيكلمه . الرابعة : أن يأتي إليه الملك في النوم . الخامسة : أن يكلمه الله تعالى إما في اليقظة أو في النوم .

43 قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ﴿ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ﴿ بلسان عربي

و أن تؤمن بالصراط^{٤٦} و هو جسر ممدود على متن النار يمر به الناس جميعا فمن كان من أهل النار يقع فيها و من كان من أهل الجنة يقطعه فيدخل في الجنة .
و أن تؤمن بالميزان و ما يؤزن فيه من الحسنات و السيئات^{٤٧} .
و أن تؤمن بالجنة و النار باعتبارهما مخلوقتان يعلم الله تعالى مكانهما^{٤٨} .
و أن تؤمن بشفاعته النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — لأهل الكبائر^{٤٩} .
و أما الآية التي تدل على عدم شفاعته النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — فليست هي على إطلاقها و إنما هي مقيدة لمن لا يؤذن الله تعالى لشفاعته .
و أن تؤمن بأن نعيم القبر ثابت للمؤمن ، و عذابه صادق للكافر المشرك^{٥٠} .
أما أحوال العصاة من المؤمنين فهي تتعلق بإرادة الله تعالى و مشيئته إن شاء عذبه و إن شاء غفر له .

- 44 قال تعالى : ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ (المؤمنون : ١٦) ﴿ وهو الذي بيدع الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه ﴾ (الروم : ٢٧)
- 45 قال تعالى ﴿ يوم ينفخ في الصور و نحشر الجرمين يومئذ زرقا ﴾ (طه : ١٠٢) . و قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا ..
- 46 قال تعالى : ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ (الصف: ٢٣ ، ٢٤)
- 47 قال تعالى : ﴿ و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ﴾ (الأنبياء : ٤٧)
﴿ و الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿ و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (الأعراف : ٨ ، ٩)
- 48 قال تعالى : ﴿ تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقيا ﴾ (مريم : ١٩) ﴿ و كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ (غافر : ٤٠)
- 49 قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .
- 50 قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا و عشيا و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (غافر : ٤٦)

و أن تؤمن بسؤال المنكر و النكير للموتى عن التوحيد و الإسلام و نبوة سيدنا محمد^{٥١} — صلى الله تعالى عليه و سلم —

و أن تؤمن بأن من أرسل إلينا من الأنبياء و الرسل فهم صادقون، و أن تؤمن بكل ما نزل من الصحف على الأنبياء — عليهم السلام —^{٥٢}

و أن تؤمن بأن الملائكة^{٥٣} عبارة عن جسم لطيف من النور و لا يطرأ عليهم العوارض الإنسانية ، و لهم مقام معلوم في السماء^{٥٤} ، و لكل منهم وظائف خاصة

51 عن أنس — رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم قال : إن العبد إذا وضع في قبره و تولى عنه أصحابه و أنه يسمع قرع نعالم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا النبي محمد ؟ و أما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله و رسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال النبي صلى الله تعالى عليه و سلم : فإرهما جميعا، و أما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال لا دريت و لا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فصيح صيحة يسمعا من يليه إلا الثقلين ..

و في رواية : يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، و ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله. قال تعالى : ﴿ أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير ﴾ (البقرة ٢٨٥)

53 قال الرسول — صلى الله تعالى عليه و سلم — : خلقت الملائكة من نور و خلق الجنان من نار و خلق آدم مما وصف لكم (مسند أحمد و صحيح مسلم)

54 قال تعالى : ﴿ و ما منا إلا له مقام معلوم ﴾ ﴿ و إننا لنحن الصافون ﴾ (الصف: ١٦٥، ١٦٤) و قال تعالى : ﴿ و ترى الملكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قضى بينهم بالحق و قيل الحمد لله رب العالمين . ﴾ (المؤمن : ٧٥)

فمنهم في سماء الدنيا ، و منهم من يشتغل بكتابة أعمال بني آدم ، و منهم من يلقي في قلوب الناس خطرات صالحة ، و منهم من يحافظ الإنسان ^{أحفظ} .
 و من جانب آخر خلق آخر يطلق عليه الشياطين فهم يلقون في قلوب الإنسان الأوهام الفاسدة .

و أن نؤمن بأن سيدنا المهدي رضى الله تعالى عنه سيظهر على وشك القيامة^{٥٥} ، و كما أن سيدنا المسيح عليه السلام يتزل من السماء فيقتل الدجال و الخنازير^{٥٦} ، ثم تكون الغلبة في أرض الله لدين الله الواحد .

الاجتهاد و التقليد في الإسلام

للاجتهاد في الإسلام مكانة مرموقة^{٥٧} و رجال خصصهم الله تعالى لهذه المهمة العظيمة فعلى العامي أن يتقلدهم في الأحكام الفرعية غير المنصوصة عليها من هنا جعلت له شروط و هي :

أن يكون مجتهد عالما بأيات الأحكام ، و بصيرا بالأحاديث التي تتعلق بالأحكام ، عارفا باللغة و الأدب و النحو و الصرف و المعاني و البيان ، مطلعا على مذاهب السلف ، خبيراً بالقياس و أصوله ، و علاوة لذلك تمتاز شخصية المجتهد في الزهد و الورع و لا يتبع هواه فيما يجتهد و يستنبط .

55 عن ابن مسعود قال النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم ... حتى بيعت الله فيه رجلا مني أو من أهل بيت .. اسمه إسمنى و اسم أبيه اسم أبي . (رواه الترمذى)

56 عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم : و الذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه و سلم حكما مقسطا فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية ، و يفيض المال حتى لا يقبله أحد . (مسلم ٧٧/١)

57 و الدليل على ذلك أن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — عندما بعث معاذاً إلى اليمن قال: بما تقتضى يا معاذ ؟ قال :أجتهد برأى .

وقال — صلى الله تعالى عليه و سلم — إذا اجتهد الحاكم و أخطاء فله أجر و إن أصاب فله أجران .

من اتصف بالشروط المذكورة أعلاه و ترى ملامح تلك الشروط في أناره
الإجتهدية و استنباطاته الفقهية و يكون متحلياً بالأخلاق الكريمة الفاضلة لدرجة
يحترمه عامة الناس و خواصهم و يعترفون بتفوقه العلمي من اتصف بهذه الأوصاف فهو
مجتهد في المنظور الإسلامي و له حق الاجتهاد ، و من لم يتخلق بتلك الأوصاف و
الأخلاق و الشروط المذكورة فليس له حق الاجتهاد و إن كان عالماً و عليه أن يتقلد
أحداً من الأئمة المتبوعين بمذاهبهم .

و لقد اعترفت الأمة الإسلامية بالتفوق العلمي للأئمة الأربعة^{٥٨} و أخذت
اجتهادهم بعين الاعتبار ، كما اعترفت بأنه لم يوجد لهم نظير في عهدهم و لا بعدهم ،

الإمام أبو حنيفة (٨٠هـ / ١٥٠هـ) : هو الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت زوطاه
بن ماه ، فقيه العراق و صاحب المذهب المقضى به حالياً في معظم الدول الإسلامية و أول من
فتق الفقه ، و فصل فصوله و أقسامه و ميز مسائله و رتب قياسه ، و مدحه كثير من العلماء
حتى قال الشافعي الناس عيال لأبي حنيفة . و له ترجمة مفصلة في الكتب المشهورة المعتمدة .
الإمام مالك (١٩٥هـ / ١٧٩هـ) : هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي ،
ولد بالمدينة المنورة و نشأ بها ، و تفقه و تعمق في علوم الدين حتى صار حجة في الحديث و
إماماً في الفقه ، يعمل بأرائه آلاف من المسلمين في أنحاء العالم ، و له كتاب مشهور في الحديث
"الموطأ" و هو إساس المذهب، تنظر ترجمته في كتب التاريخ المشهورة ..

الإمام الشافعي (١٥٠هـ / ٢٠٤هـ) : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن العثمان
بن الشافعي بن السائب القرشي المظلي ، عالم قريش و فخرها ، و إمام الشريعة و حبرها ،
نشأ الشافعي بمكة و تعلم فتفقه حتى صار نادرة الدنيا ذكاء و حفظاً ، و حفظ الموطأ للإمام
مالك ، و أفتى و هو ابن خمس عشرة سنة ، و استنبط مذهبه من القرآن و الحديث و القياس و
الإجماع ، و كان أفضل من رأى الناس ذكاء و حفظاً و عقلاً و فصاحة لسان و قوة حجة ، و
له المذهب المتبوع في العالم ، توفي الشافعي في القاهرة و دفن هناك . و ضريحه مشهور بزار ،
و لقد تشرفت غير مرة بزيارة مقبرته و قرأت الفاتحة عليه ، فكم كنت ذا حظ و سعادة حينما
كنت في الأزهر الشريف و أحضر إلى روضة الإمام فأتيرك بها .

و يأتي على رأس هولاء الأئمة إمامنا الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، و قد كان عدد كبير لمن تخرج على يد الإمام و تقلده ، فأصبحوا رمزا للعلوم الإسلامية و الفقه الإسلامي ، و هم الذين قاموا بجمع و تنقيح أصول الإمام و فروعه التي أصبحت — فيما بعد — قانونا للأمر المستحدثة و دستوراً للمستجدات العصرية ، و يجيء على رأس هولاء التلاميذ و المقلدين الإمام أبو يوسف و محمد^{٥٩} — رحمهما الله تعالى — فخالفوا الإمام في بعض الأراء الفقهية و رجحوا البعض المشتهرة ، كما أن الإمام سمح لهم بتفرع المسائل معتمدا على الأصول و القواعد التي وضعها هو — الإمام — و

الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤هـ / ٢٤١هـ) : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، ولد ببغداد و نشأ بها ، طلب الحديث و كثرت رواته و عرفت ثقافته ، و حاب الأقطار الإسلامية في تلقيه و جمعه حتى حفظ ألف ألف حديث و هو من أصحاب الشافعي و صفوة تلاميذه ، و قد قال فيه و هو راحل إلى مصر : خرجت من بغداد و ما خلفت بها أتقى و لا أفتقه و لا أزهد و لا أروع و لا أعلم من ابن حنبل . و هو صاحب المذهب الفقهي المشهور ، راجع ترجمته المفصلة إلى كتب الفهارس و التراجم .

الإمام أبو يوسف : (١١٣هـ / ١٤٢هـ) هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الحنفي الفقيه المحدث ، قاضي بغداد ، و تلميذ من تلامذة الإمام الأعظم أبي حنيفة ، نظرا إلى مكانته العلمية تتلمذ على يده أعلام الزمان و فرسان العلم و الهداية ألا و هم : الإمام أحمد بن حنبل ، و يحيى بن معين ، و علي بن المديني ، و الجاحظ .. و له كتاب معروف في الفقه و هو دستور أساسي للإسلام يسمى "الخراج" تنظر ترجمته في الفهارس و كتب التراجم المشهورة .

الإمام محمد بن الحسن الشيباني : (١٣٢هـ / ١٨٩هـ) ولد هذا الإمام الجليل في واسط إحدى المدن العراقية ، و توفي في "رى" و كان من أحد أكابر تلامذة الإمام الأعظم و بلغ في العلم و الفقه و الحديث إلى مداه حتى صار حجة و علما من الأعلام الإسلامي ، و له كتاب معروف في الآثار يسمى "آثار محمد بن الحسن الشيباني" .

بالتالي اشتهر الإمامان الجليلان أبو يوسف و محمد و من كان معهما في درجتهم
اشتهروا "بالمجتهد في المذهب" ^{٦٠}

ثم توسعت الدولة الإسلامية ، و تجددت الحوادث فأوجد الزمان أعلام الإسلام
في سماء الفقه الإسلامي منهم الإمام أبو جعفر الطحاوي ، و أبو الحسن الكرخي ، و
شمس الأئمة الحلواني، و فخر الإسلام البزدوي ، فخر الدين القاضي خان ، فاجتهدوا
هؤلاء في المسائل المستحدثة في ضوء الأصول و الفروع الحنفية ، و أطلق على هذه
الطبقة "المجتهد في المسائل" ^{٦١}

و من جاء بعدهم شرح الله صدورهم و أوسع علمهم فأصبحت لهم قدم
راسخة في الأصول و الفروع فرؤا أن المرويات عن الإمام أو أحد من أصحابه تحمل
عدة معان أو تأتي في إطار المبهم أو المجمل ، و من هنا توجهوا إلى توضيح المبهم و
تفصيل المجمل و تصريف المحتمل إلى محامل حسنة ، و من أعظمهم الإمام العلامة أبو
بكر أحمد بن علي، و قد اشتهرت هذه الطبقة " بأصحاب التخريج" ^{٦٢}

و نظرا إلى تنوع الآراء و اختلاف الأقوال احتاج الزمان إلى قوم ينظر في تلك
الآراء و يرجح بعضها على البعض ، فجاءت الطبقة الخامسة و قام بهذا العمل خير قيام
، و عرفوا "بأصحاب الترجيح" ^{٦٣}

60 المجتهد في المذهب : من هو قادر على استخراج الأحكام من الأدلة على مقتضى القواعد السني
قررها الإمام المجتهد المطلق كأبي يوسف و محمد و أصحاب أبي حنيفة الآخرين . (حاشية ابن
عابدين ٧٧/١)

61 المجتهد في المسائل : من اجتهد في مسألة لا يوجد النص فيها عن صاحب المذهب كالخفاف
و أبي جعفر الطحاوي و غيرهما ...

62 أصحاب التخريج : هؤلاء لا يقدرّون على الإجتهد أصلا لكنه أحاط على الأصول
كالرازي و أضرابه.

63 أصحاب الترجيح : هم نخبة من المقلدين كأبي الحسن القدوري، و الهداية و أمثالهم .

و من بعدهم جاء رجال وهبهم الله تعالى ذكاء نادرا و نظرة فاحصة فاستطاعوا التفريق بين الأقوى و القوي و الضعيف و الظاهر و المرويات النادرة ، و قاموا بالتوضيح و التفريح بين تلك المسائل و تنقيحها ثم قيدها في الكتب ، و من هؤلاء صاحب الكثر ، المختار ، و المجمع^{٦٤} .

و من جاء بعدهم قد اعتمدوا على مؤلفات أولئك العلماء المذكورين و ذلك فإن الكتب المذكورة قد تحتوي على مرويات الطبقات الأربعة القوية و هي ثقة عند جميع علماء الأحناف ، فبالتالي لا ينبغي لنا أن نغض طرفنا عن تلك المؤلفات .

و لقد اعتمد و لا يزال يعتمد علماء الأحناف على كتب المتون و الشروح و الفتاوى للمتأخرين التي أصبحت دستورا أساسيا و معمولا بها في الفقه الحنفي ، فمن لا حظ له في الاجتهاد و عارض تلك الكتب و عمل ضدها قائلا : إننا إن تركنا العمل بالمؤلفات المذكورة فقد كانت لدينا ذخيرة متوفرة من الأحاديث النبوية ، فمن عارض و قال هذا فكأنه زلت قدماه و تخطى إلى الضلالة .

و قد بلغت المذاهب الأربعة و على وجه الأخص المذهب الحنفي إلى ذروة التحقيق و التنقيح ، فكلما يحدث شيء نستطيع نحن العلماء المسلمين أن نرى ، و لا تزال الأمة الإسلامية تستطيع أن ترى حلوله في تلك الفروع المستخرجة ، أو نستخرج حكمه في ضوء الأصول و الفروع التي قرروها .

و بعد هذا البحث الإجمالي نقول يجب على غير المقلدين اتباع إحدى المذاهب الأربعة المتقدمة في جميع المسائل فإن اعتمد على مذهب في مسألة و على مذهب آخر

٦٤ هـ عبارة عن جماعة من العلماء المقلدين القادرين على التمييز بين القوي و الضعيف و

ظاهر المذهب و الرواية النادرة كأصحاب المتون المعتمدة من المتأخرين . (المرجع السابق)

في مسئلة أخرى فلا يدخله هذا في إطار التقليد و إنما هو تلفيق بين المذاهب و التلهي بالدين ، هذا حرام ^{٦٥} .

لا يسمح لأحد من غير المجتهدين الذين ليست لهم دراية كافية في الحديث النبوي و ليست لهم قدم راسخة في الإجتهد أن يستخرج المسائل من الحديث بدعوى الإجتهد .

الخلافة و الولاية

تمتاز الشريعة الإسلامية بأشياء كثيرة كما أن لها ميزات و خصائص و حددت لكل شيء أصولا و قواعدا ، من بينهم الخلافة و الولاية و قد جعلت للخلافة و الولاية درجات و مراتبة يمتاز بعضها عن بعض إذ تقول إن سيدنا أبا بكر الصديق خليفة و ولي هذه الأمة بعد سيدنا الحبيب المصطفى — صلى الله تعالى عليه و سلم — و تأتي بعد ذلك درجة الفاروق عمر ثم عثمان ، فعلي المرتضى ^{٦٦} — رضى الله تعالى عنهم — .

مما نعرف إسلاميا أن هؤلاء يدخلون الجنة في الواقع : العشرة المبشرون بالجنة ^{٦٧} ، و السيدة فاطمة الزهراء ^{٦٨} ، و السيدة خديجة أم المؤمنين ^{٦٩} ، و السيدة عائشة

65 و الحق أقول: إن الأئمة المجتهدين كلهم على هداية من رهم فمن كان متقنا في العلوم الإسلامية و هو يتقلد إحدى المذاهب الأربعة المتبوعة في عصرها ثم اضطر في مسئلة من المسائل إلى اتباع مذهب آخر فقد أصاب ، و هذا لا يعد تلفيقا كما ذهب الأحناف في مسئلة المفقودة إلى اختيار مذهب الإمام مالك، هذا هو المذهب الصحيح المنقول من الفقهاء و العلماء و الصوفية ، فإن كنت شاكا في هذا راجع كتاب "اليواقيت و الجواهر" ٩٠/٢ للإمام عبد الوهاب الشعراي .

66 أخرج ابن عساكر في التاريخ ١٩٦/٤٤ من حديث إصبع بن نباتة قال : قلت لعلي : يا أمير المؤمنين من خير الناس بعد رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — ؟ قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر . قلت : ثم من ؟ قال : عثمان . قلت : ثم من ؟ قال : أنا ..

67 عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — قال : أبو بكر في الجنة ، و عمر في الجنة ، و عثمان في الجنة ، و علي في الجنة ، و طلحة في الجنة ، و الزبير في الجنة

أم المؤمنين ^{٧٠} ، و سيدنا الحسن و الحسين ^{٧١} ، و أصحاب بدر ^{٧٢} ، و الذين بايعوا
تحت الشجرة ^{٧٣} .

نؤمن بأن الصحابة — كلهم ^{٧٤} و على وجه الأخص أصحاب بدر و البيعة
هداة و نجوم زاهرة و بالتالي يجب على الأمة الإسلامية إكرامهم و توقيرهم فإنهم

، و عبد الرحمن بن عوف في الجنة ، و سعد بن أبي وقاص في الجنة ، و سعيد بن زيد في
الجنة ، و أبو عبيدة بن الجراح في الجنة . (رواه الترمذي ، و ابن ماجه)

68 عن أم سلمة — رضى الله تعالى عنها — أن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — دعا
فاطمة يوم الفتح فناجها فبكت ، ثم حدثها فضحكت قالت فلما توفى رسول الله — صلى
الله تعالى عليه و سلم — سئلتها عن بكائها و ضحكها ، قالت : أخبرني أن رسول الله —
صلى الله تعالى عليه و سلم — أنه يموت فبكت ، ثم أخبرني أني سيده نساء أهل الجنة إلا
مريم بنت عمران فضحكت . (رواه الترمذي في المناقب)

69 عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة ، و ما تزوجني
رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — إلا بعدما ماتت و ذلك أن رسول الله — صلى
الله تعالى عليه و سلم — بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب .
(السابق)

70 عن عبد الله بن زياد الأسدي قال : سمعت عمار بن ياسر يقول : هي زوجته في الدنيا و
الأخرة يعني عائشة — رضى الله تعالى عنها — . (السابق)

71 عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — الحسن و
الحسين سيدي شباب أهل الجنة . (السابق)

72 أخرج الإمام البخاري من حديث علي رضى الله تعالى عنه — في قصة حاطب بن أبي بلتعة
الطويلة — .. قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : إنه شهد بدرا ،
و ما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم . (البخاري ، الجهاد و السير)

73 عن أم مبشر أنها سمعت النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — يقول : عند حفصة لا يدخل
النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها ، قالت بلى ، يا رسول الله
... (صحيح مسلم، المناقب)

تشرفوا بصحبة النبي — صلى الله تعالى عليه وسلم — وأصبحوا سادات الناس و أولياء الأمة ، و قد ظهرت منهم أشياء كثيرة تعد خرقا للعادة^{٧٥} ، هذا ، و من غير ذلك لا تسمح الشريعة الإسلامية لأحد السب عليهم^{٧٦} و الطعن منهم فمن تطرق و تجاوز عن الحدود فلعنهم و طعن في كراماتهم فكأنه رافضي يدخل في النار .
من تشرف — من الصحابة — بالإسلام قبل الفتح فهو أفضل درجة ممن أسلم بعد الفتح ، و لكن الله تعالى وعد لكل منهم الحسن و رضى عن جميعهم .

الشرك بالله تعالى

الشرك و الكفر من أعظم البلاء للناس و إن نرى التغيرات اللفظي بين كلتا الكلمتين إلا أنهما شيء واحد نظرا إلى المرد و النتيجة ، فالمشرك و الكافر يدخلون النار، و لهم عذاب أليم دائم^{٧٧} .
الشرك الحقيقي عبارة عن أن يعتبر الإنسان أن غير الإله واجب الوجود أو هو جدير بالعبادة .

74 قال تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر و المجهدون في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم فضل الله المجهدين بأموالهم و أنفسهم على القعدين درجة و كلا وعد الله الحسن و فضل الله المجهدين على القعدين أجرا عظيما . ﴾ (النساء : ٩٥)

75 و ذلك كما احتفظ التاريخ في صدره قصة جريان النيل بكتابة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إليه ، و رؤيته الجيش في هاوند ، و كما شرب خالد بن وليد رضى الله تعالى عنه السم و لم يتضرر به ..

76 عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله — صلى الله تعالى عليه وسلم — لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم و لا نصيفه . (الترمذي في المناقب)

77 قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (النساء : ١١٦)

و من إمارات الشرك أن يسوي العبد بين صفات ولي من أولياء الله — كإزالة المصيبة و استجابة الدعاء و إلى ما ذلك — و صفات الإله الخالق المعبود ، بناء على ذلك يعامل مع العبد الولي كالإله المعبود — أعوذ بالله من هذا .

و مما نعرف أنه من مميزات الشريعة الصادقة أن تفرق بين صفات العبد و صفات الإله و أن لا يوجد فيها أثر من آثار الشرك ، و هذا هو الغرض لإرسال الرسل و بعثة الأنبياء إلى الناس .

و أنه هنا في هذا المقام أن الخرق للعادة التي تصدر من أولياء الله تعالى لها حقيقة واقعية و لا أستطيع أن أرفضها و ذلك فإنما مظهر من مظاهر قدرة الإله الخالق . تتمتع الشرائع السماوية بالشفاعة و التقرب للعبد إلا أن العبد المتقرب إذا تخيل بعد الحصول على تلك الأوصاف بأنه أصبح صاحب القدرة الحقيقية و تمكن الرد على تصرفات الخالق الإله و المنع عما يفعله تعالى فهو شرك لا مرية فيه ، و أما تفويض تلك القدرة إلى الله تعالى و تسليمها إلى قدرته مؤمنا بأنه هو المفيض المانح الحقيقي لهذه الأوصاف و الدرجات أو القدرات فهو الإيمان الصحيح و العقيدة الحقة الصادقة .

كما أنه من الشرك بالله هو أن يعتبر الإنسان الخارق عن العادة للأولياء أو الإشراق الباطني لهم و إطلاعهم على المغيبات ، يعتبر هذه الأشياء بأنها صفة ذاتية للأولياء و حصلت لهم بدون العطاء الإلهي ، و أما اعتبارها بتعليم الله تعالى إياهم يعد من الإيمان و التوحيد الخالص .

و قد قلنا إن لصفات العبد المتقرب حقائق ثابتة و من أنكرها على الإطلاق فقد يحكم عليه بالضلالة ، و من اختار مسلك الاعتدال و الوسطية و رعى الحقوق معا — حقوق الله و حقوق العباد — فكأنه اختار الطريق المستقيم .

الكفر و الكبائر

الكفر هو عدم الإيمان بالله تعالى و رسوله^ص، أو الإيمان بهما و الإنكار ما جاء
 ﷺ بالرسول — صلى الله تعالى عليه و سلم — ، و أما الأحكام التي يجز إنكارها إلى الكفر
 تثبت بثلاثة الطرق التالية :

- ١ — تثبت بمفهوم الآيات القرآنية قطعا كما فهمه العرب .
 - ٢ — تثبت بمعاني الحديث المتواتر القطعية طبقا لما فهمه العرب بمحاورةم و لغتهم .
 - ٣ — تثبت بإجماع المجتهدين القطعي .
- فما ثبت بهذه الطرق الثلاثة يجب على كل مؤمن اعترافه بالقلب و اللسان ،
 فمن أنكره و لا يسع إنكاره التأويل يصبح كافرا على الإطلاق بحكم الفقهاء ، و من
 أنكره و هو مؤول — مع أن الحق واضح وجلي — فهو كافر .
 و مما علم من الدين بالضرورة فمن ينكره بالقول أو بالفعل يحكم عليه بالكفر .
 من يعبر الملائكة بالقوة الإنسانية ، و يعبر القوة الفكرية للنبي — صلى الله تعالى
 عليه و سلم — بجبريل فقد يخالف النص القرآني و إجماع العلماء و ينكر مما علم من
 الدين بالضرورة بذلك يحكم عليه بالكفر .
 نصت شريعتنا الإسلامية الغراء على تفاصيل البعث و حشر الأجساد و الإنعام
 في الجنة فلا بد علينا الاعتراف بتلك الأشياء دون تأويل ، و يكفر من أنكر ذلك .
 تؤمن بأن النبي — صلى الله تعالى عليه و سلم — بعث خاتما فمن أنكره و يبيع
 بعثة نبي آخر فقد يحكم عليه بالكفر ، و كذلك يحكم بالكفر على من لا يؤمن باتباع
 الأحاديث النبوية على الإطلاق .

و يحكم بالكفر على من عصى الرسول — صلى الله تعالى عليه و سلم —
بالقول أو بالفعل أو خفف شأنه .

و يحكم بالكفر على من يقول بأن القرآن محرف .

و يحكم بالكفر على من فضل غير الأنبياء على الأنبياء .

و يحكم بالكفر على من قام بتكذيب الله تعالى .

و يحكم بالكفر على من قال بأن الرد على عقيدة ضالة كفرية و على المنكرين

مما علم من الدين بالضرورة هو بمثابة إثارة الفتن و الفساد .

و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد و على آله و أصحابه و ذرياته

أجمعين .

* * *

.....

الهوامش :

* أقول : أى رب غفرا هذا هو إيماننا بالله رب العالمين لا شريك له في ذاته ﴿ فعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ " ١٩/٤٧ " ﴿ لم يرد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ﴾ " ٣،٤ / ١١٢ " و لا في صفاته له الحمد ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ " ١١/٤٢ " و لا في أسمائه ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ " ٦٥/١٩ " و لا في حكمه ﴿ و لا يشرك في حكمه أحدا ﴾ " ٢٦/١٨ " و لا في ملكه ﴿ و لم يكن له شريك في الملك ﴾ " ١١١/١٧ " و لا في ملكه ﴿ لله ما في السموت و ما في الأرض ﴾ " ٢٨٤/٢ " و الذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴿ " ١٣/٣٥ " و لا في أفعاله ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ " ٣/٣٥ " . و ما يرى من إطلاق إسم واحد عليه و على أحد من خلقه — عزوجل — كعليم حكيم كريم سميع بصير و نحوها ، فيمجرد وفاق في اللفظ دون شركة في المعنى . و لذا قال الإمام القاضى عياض في "الشفاء الشريف" : يعتقد أن الله عزوجل في عظمته و كبريائه و ملكوته و حسنى أسمائه و على صفاته لا يشبه به شيئا من مخلوقاته، و لا يشبه به و أن ما جاء مما أطلقته الشرع على الخالق و على المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين..

ثم نقل عن الإمام الواسطي — رحمه الله تعالى — قال : ليس كذاته ذات و لا اسمه إسم و لا كفعله فعل و لا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ ، قال : و هذا كله مذهب أهل الحق و السنة و الجماعة — رضى الله تعالى عنهم — .

قلت : و فيه إملاء الإمام حجة الإسلام الغزالي على إحيائه عن ابن عباس — رضى الله تعالى عنهما — ليس عند الناس من علم الأحررة إلا الأسماء . فما ظنك بصفات المولى — عز وجل — .

قال في "الفتاوى السراجية" و "التاتارخانية" و "منح الغفار" و "الدر المختار" وغيرها : التسمية بإسم يوجد في كتاب الله تعالى كالعلى و الكبير و الرشيد و البديع جائز لأنه من الأسماء المشتركة و يراد في حق العباد غير ما يراد في حق الله تعالى . (راجع الفتاوى السراجية ، كتاب الكراهية ، باب التسمية .

و قال إمامنا أبو يوسف — رحمه الله تعالى — : إن أفعال و فعيلًا في صفاته تعالى سواء كما في " الهداية" قال في "العناية" : لأن إثبات الزيادة ليس بمراد في صفات الله تعالى لعدم مساواة أحد إياه في أصل الكبرياء حتى يكون أفعال للزيادة كما يكون في أوصاف العباد ، فكان أفعال و فعيل سواء . بل قد قال العلماء في غير ما موضع : إن اسم التفضيل كثيرا ما يراد به أصل الفعل من دون شركة منها قوله تعالى : ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و أحسن مقبلا ﴾ "٢٤/٢٥" .. و لكن العجب ممن جعل تقسيمنا العلم إلى الذاتى و العطائى و إلى المحيط و غيره كلاما فلسفيا غير مقبول أهل الشرع مع كثرة من صرح به من الأئمة كما أكثرنا النقول عنهم في كتابنا "مالي الجيب بعلوم الغيب (١٣١٨ من الهجرة)" و ذكرنا طرفا صالحا منه في كتابنا "خالص الاعتقاد" و قد نقلته الرسالة المفتراة على الإمامين النووي و ابن حجر كما تقدم.

و ذكرت الفرق بأن علمه تعالى محيط لا علوم الخلائق عن الإمام حجة الإسلام الغزالي ، بل صرحت به بنفسها كما سيأتي إن شاء الله تعالى لكن لما رأت القسدين تبطلان ما لها من احتجاج و تسدان عليها سبيل الحجاج أنكروها هاهنا ، و ادعت أن العلم الإلهي في النصوص الشرعية إنما يراد به مطلق الإدراك و احتجت له بإطلاق "أعلم" عليه تعالى في آيات و في قولهم الله و رسوله أعلم . قال الرسالة : و من المقرر في العربية أن معنى أفعال التفضيل أن المفضل يشارك المفضل عليه مع احتصاص بزيادة في المعنى .

و هذه كلمة قالها ، و لم يتأمل مآلها ، و لو علم و بالها ، لقال مالي ، فإن فيها رزيتين كبيرتين .

الرزية الأولى : سله أن العلم و نحوه مما تذكره النصوص الشرعية و الآيات الفرقانية في حمده — عزوجل — هل هي صفات كمال لمولانا — جل جلاله — أو لا ؟ فإن قال نعم هو المرجو من كل من أسلم فقل أو لا : يا سبحان الله ممن يؤمن بالله و آياته ثم يشرك به مخلوقاته في صفاته و يتجاهر بأن الخلق شركائه فيها مع اختصاص الله تعالى بزيادة و عن أمثال هذا يغلب على الظن أن الرسالة إن كان لها أصل فقد حرفتها أيدي الوهابية ، إذ هم المجترعون بأمثال هذا كما أشركوا كل صبي و مجنون و حيوان و بهيمة في علم الغيب مع رسول الله — صلى الله تعالى عليه و سلم — و لا أرى أصل تلك الشبهة أعنى تشريك الصفة بين الله تعالى و خلقه إلا من سلف الوهابية نمروذ ﴿ إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي و يميت ، قال أنا أحيي و أميت ﴾ (٢٥٨/٢)

و ثانيا: حملت الصفات الإلهية على المعاني المصدرية و ما هي إلا من الأمور الانتزاعية الحادثة الغانية و صفاته تعالى عن ذلك متعالية و إن قال لا ، فقد قرر أن النصوص الدينية و الآيات القرآنية حيث تحمد الله تعالى بالعلم و نحوه فلا تحمده بصفة كمالية لله عزوجل إنما تحمده بشيء مبتذل حاصل لكل حسن و قبيح و شريف و وضيع و مؤمن و كافر هذا لا يجترئ به مسلم بل تحمده بصفات رفيعة في ذاتها متعالية عن أعراض المحدثات و سماتها.

الرزية الثانية : حيث لم يرض إرادة الإحاطة أيضا فضلا عن الذاتية جاعلا لهما تفلسا ساقطا عن الاعتبار في فهم معاني الكتاب و السنة ، بمخرجين لهما عن ظواهرها ، مفضيين إلى عدم الوثوق بكثير من النصوص ، موقعين للمسلمين في حيرة عظيمة ، ناقضين عرى الدين الوثيقة و قرر أن ليس المراد فيها إلا مطلق الإدراك الشامل للخلق و المخلوق ، فقد ترك الآيات تتناقض لما علمت أن القرآن العظيم أتى في علم المغيبات بكلا طري النفي و الإثبات و المراد عنده فيها هو مطلق الإدراك . فتوارد النفي الإثبات على معنى واحد و تمكن مخلب التناقض في آيات الرحمن و أي مصيبة أعظم من هذا؟ و كذلك كل من نابذ الحق فإن الباطل لا ينصره إلا الباطل ، نسأل الله العافية .

يلية أخرى أمر و أدهى : وقع في الرسالة المفتراة أن المعلومات كلها بالنسبة إليه تعالى من عالم الشهادة .

أقول : هذه زلة شديدة و حقه أن يقول الموجودات كلها لأن معلوماته تعالى تعم المدومات التي لم تكنس الوجود و لا تكسية أبدا بل و المحالات بأسرها كما نصوا عليه في كتب العقائد و لو كان المحال من عالم الشهادة بالنسبة إليه تعالى لصار شاهدا مشهودا موجودا و أي شناعة أحنع من هذا؟ فإن فيه أنه تعالى يشاهد شريكه و موته و عجزه و جهله إلى غير ذلك من المصائب ، تعالى عنها علوا كبيرا . و قد نص العلماء أن الرؤية تتوقف على الوجود و أن المعلوم غير مرئي لله تعالى ، و إنما اختلفوا أنه تعالى هل يرى الموجود حين يوجد أم يرى في القدم كل ما يخرج إلى الأبد من العدم مع الإجماع على أن المحال لا تتعلق به رؤية ذي الجلال كما بيناه في " سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح " فتنبه فلعل هذه الزلات مثل ما حكى الرسالة في حق بعض الأئمة أنه قد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسألة . نسأل الله العفو و العافية و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم .

** نحن معاشر أهل السنة و الجماعة نثبت القدرة الحادثة بعباء المولى سبحانه و تعالى و إن كانت كاسبة لا خالقة و نفيها مطلقا إنما هو مذهب جهم بن صفوان الضال كما في المواقف و شرحه و قد قال تعالى : ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ "٢٥/٦٨" أي أصبحوا مجتمعين على المنع مع كونهم قادرين على النفع .

قال العلامة أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم ، المعنى أنهم أرادوا أن يتكبدوا على المساكين و يجرموهم و هم قادرون على نفعهم الخ (القلم : تحت الآية الكريمة) و قال تعالى : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ "٢٩/٥٧" .

قال في تفسير الكبير : القول الثاني أن لفظه لا غير زائدة فالضمير في ألا يقدرون عائد إلى الرسول — صلى الله تعالى عليه و سلم — و أصحابه ، و التقدير لئلا يعلم أهل الكتاب أن النبي و المؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله و أنهم إذا لم يعلموا أنهم يقدرون عليه و اعلم أن هذا القول أولى . مختصرا (راجع مفاتيح الغيب : الحديد : تحت الآية المذكورة)

فإن قيل إن القدرة الإلهية أزلية أبدية واجبة مؤثرة و لا كذلك قدرة العبد ؟

قلت : هذه أمور غير الكلية و البعضية و إنما الكلام فيها ، فالبعيد هل يعتقد لعلم محمد — صلى الله تعالى عليه و سلم — مزية ما على علم الجنون و البهيمة في صفات و كفيات ، و إحاطة و إفادات ، جلاله وقع ، جزالة نفع ، و أولية في الإيجاد ، و توسط في الإمداد ، إلى غير ذلك من فروق عظيمة جسمية ، كبيرة جلية ، كثيرة جزيلة ، سوى البعضية المشتركة عنده أم لا ؟ بل علمه لا يفضل عنده أصلا في شيء ما على علم المجانين و البهائم؟ على الثاني

ظهر كفره ظهوراً بيناً ، فإن الطريد البعيد يعترف لنفسه أيضاً أن لعلمه مزايا على علم الثور و الحمير و الكلب و الخنزير و على الأول إذ قد بنى نفي الخصوصية و الحكم بالتماثل على مجرد الاشتراك في البعضية مع إذعانه أن لعلمه — صلى الله تعالى عليه و سلم — مزايا على علم هؤلاء من جهات أخرى لا تحاط كثيراً ، فالنقض بالقدرة الإلهية تام و لا يحدي ذكر الفروق بتلك المزايا الخارجية عن الكلية و البعضية فاعرف و افهم ، و الله سبحانه و تعالى أعلم .

*** أي في الخلق و الإيجاد بإجماع أهل السنة و الجماعة ، — حفظهم الله تعالى عن كل شناعة — و اختلفوا أما هل لها أثر ما في شيء زائد على الوجود كنسب و إضافات و اعتبارات يسميها البعض حالا و الباقيون لا ينكرون أن هناك أموراً اعتبارية لها قسط من الواقعية ليست مجرد اختراع و وهم كآنياب و أغوال و إن نازعوا في القول بالأحوال و إثبات واسطة بين الوجود و العدم ، فالخلاف لفظي كما صرح به المحققون . فجمهور الأشاعرة نفوه مطلقاً و ما عندهم من الفعل للقدرة الحادثة إلا معية و للعبد منه إلا عملية ، الخفية حسبه لا يكفي لنفي الجبر فأثبتوا لها تأثيراً في القصد و هو أمر إضافي قطعاً ليس من الموجود عينا فلا يكون استناده خلقاً و تكويناً فإنه إضافة الوجود لا إضافة موجود لا عبرة بقدم زلت ، و تأثيرها في الإضافات قد ارتضاه بعض كبراء الأشعرية أيضاً كإمام السنة القاضي أبي بكر الباقلاني و لا أعلم على خلافه نصاً و لا إجماعاً و قد بينت كل ذلك في رسالتي " تجبر الخير بقصم الخير ١٣٢٩ من الهجرة " و أما أنا فليست ممن يخوض في هذا و إنما إيماني و لله الحمد ما ثبت بالقرآن و أجمع عليه الفريقان ، و شهدت به البدهة و أدى إليه البرهان ، أن لا جبر و لا تفويض و لكن امر بين أمرين و الفرق بين حركتي البطشة و الرعشة و الصعود و الهبوط و بالوثوب و السقوط . يشهد به الوجدان ، لا يجله صبي و لا صبي و لا حيوان ، و ليس للعبد من الخلق شيء جملة واحدة و ما يحس في نفسه من قدرة و إرادة و اختبار وإنما خلقها الله تعالى فيه ، ما كان لهم الخيرة و لا قدرة أو إرادة يستبدون بها و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، ما شاء الله كان و لو اجتمع على دفعه العالمون ، و ما لم يشأ لم يكن و لو اجتهد لإيقاعه الأولون و الآخرون ، الله خلقكم و ما تعلمون ، يثبت من شاء و الثواب فضله ، و يعذب من شاء و العذاب عدله ، و ما ظلمهم الله و لكن كانوا هم الظالمين ، جزاء بما كانوا يكسبون ، فالتكليف حق و الجزاء حق و الحكم عدل و الاعتراض كفر و الاستبداد ضلال و التحجر جنون فنون ، و لا حجة لأحد على الله مهما فعل و لله

الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل و هم يسألون ، فهذا إيماننا و لا نزيد عليه . و إن سألنا
عما و رآته قلنا لا ندري و لا كلفنا به و لا نخوض مجرا لا تقدر على سباحته و نسأل الله
الثبات على دين الحق و سداخته ، و الحمد لله رب العالمين .

**** في اليواقيف و الجواهر في عقائد الأكابر للإمام الشعراي في المبحث الثالث و الثلاثين :
إن قلت هل ثم أحد من البشر ينال في الدنيا علما من غير واسطة محمد — صلى الله تعالى عليه
و سلم — فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الواحد و تسعين و أربعمائة : ليس أحد ينال في
الدنيا إلا و هو من باطنية محمد — صلى الله تعالى عليه و سلم — سواء الأنبياء و العلماء
المتقدمون على مبعثه و المتأخرون عنه و أطال في ذلك كما نقدم بسطه في المبحث قبله .
قلت : و لا مفهوم لقول السؤال من البشر و لا لقوله في الدنيا فإنه — صلى الله تعالى عليه و
سلم — هو الخليفة الأكبر و القاسم المطلق فلا تصل لأحد من الخلق دينا و أخرى نعمة إلا
على يده — صلى الله تعالى عليه و سلم — كما نص عليه الأكابر و سردنا نصوصه في
كتابنا "سلطنة المصطفى في ملكوت كل الورى" .

نحو مستقبل بناء

في وقت تهدد الصهيونية العالمية كيان المسلمين ، و في وقت يسيطر الفكر الإستشراقي على أذهان البله من الناس ، و في وقت تبرز هتافات العولمة الدينية و الفكرية و اللغوية و الإقتصادية .. يجب على الأمة الإسلامية ترسيخ الدعامة القوية في مواجهة كل التيار العلماني ، و تثقيف الجيل الجديد بمعطيات عصرية يصاحبها الشعور الإيماني و الهمة المعنوية حتى نستطيع على تعمير المستقبل البناء، و البلوغ إلى الغاية المنشودة .

و لكل هذا و غير ذلك من الأهداف أقيم "مركز أهل السنة بركات رضا" في الهند الغربية و ذلك سنة ألفين و واحد الميلادي ، و للمركز نشاطات كثيرة و من أهمها .

- تأسيس المدارس الإسلامية و الجامع العلمية في أنحاء الهند .
- رعاية الأيتام و تدعيم المسلمين المتكويين في العاهات .
- إقامة الدار للتأليف و النشر و التوزيع .

و بالرغم من أنه لم يقطع المركز إلا بضعة أشواط من تأسيسه و لكنها أحرزت الإنجازات الباهرة في المجالات المذكورة و على وجه الأخص في مجال الطبع و النشر و التوزيع فقد صدر أكثر من مائة مؤلف في اللغة العربية و الأردية و الفارسية و الإنجليزية و الذي يتعلق بالتراث الإسلامي الأصيل ، فلا يزال يقوم بدور فعال حيوي نشيط في هذا المجال ، و من هنا تمنى له النجاح الباهر و المستقبل البناء .. _____ و الله ولي التوفيق .

أرشد على الجيلاني

محتوى الكتاب

٥	كلمة رئيس المركز
٦	إهداء
٧	نبذة عن الإمام أحمد رضا خان الحنفي الماتريدي
١٤	أحكام الواجب و صفاته
٢١	الإيمان بالنبي صلى الله تعالى عليه و سلم
٢٧	ملامح الحب للرسول صلى الله تعالى عليه و سلم
٣٦	ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه و سلم
٣٩	الاجتهاد و التقليد في الإسلام
٤٤	الخلافة و الولاية
٤٦	الشرك بالله تعالى
٤٨	الكفر و الكبائر
٤٩	الهوامش
٥٥	نحو مستقبل بناء
٥٦	محتوى الكتاب



فهرس المراجع

المؤلف	الكتب
الإمام فخر الدين الرازي	القرآن الكريم
الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	مفاتيح الغيب
الإمام مسلم بن الحجاج القشيري	صحيح البخاري
الإمام أبو عيسى الترمذي	صحيح مسلم
الإمام البخاري	سنن الترمذي
الإمام الدارمي	التاريخ الكبير
الإمام الدار قطني	سنن الدارمي
الإمام أحمد بن حنبل	سنن الدار قطني
الإمام ابن حبان	مسند أحمد بن حنبل
الإمام ابن خزيمة	صحيح ابن حبان
الإمام أبو عبد الله الحاكم	صحيح ابن خزيمة
الإمام عبد العظيم المنذري	المستدرک للحاکم
الإمام البيهقي	الترغيب و الترهيب
الإمام ابن الكثير	دلائل النبوة
الإمام ابن عدي	دلائل النبوة
الإمام أبو نعيم الأصفهاني	الكامل في ضعفاء الرجال
الإمام القاضي عياض اليعصبي	حلية الأولياء
الإمام فضل الرسول البدايوني	الشفاء بتعريف حقوق المصطفى
الإمام التفتازاني	المعتقد المنتقد
الإمام ابن عابدين الشامي	شرح المقاصد
	حاشية ابن عابدين